المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
فرع الأدب والبلاغة والنقد

مخاطبة الطير في الشعر العربي

حتى نهاية القرن الخامس الهجري

[دراسة نقديَّة تحليلية]
بحث مقدَّم لِنيْل درجة الماجستير في الأدب والنَّقد

إعداد الطالب
حمـد بن علـي بن حمـد الفقيـه الحُسيني الهاشمي
الرَّقم الجامعي / ٤٣١٨٨٢٤٨

إشراف الأستاذ الدُّكتور
ماجـد بن ياسيـن الجعافـرة
أستاذ الأدب العربي بكليَّة اللُّغة العربيَّة بجامعة أمِّ القُرى

الفصل الدراسي الثاني
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله، وعلى آله، وصحبه، والتابعين له، وبعد: فهذا تلخيص لما احتوت عليه الرسالة التي هي بعنوان (مخاطبة الطير في الشعر العربي حتى نهاية القرن الخامس الهجري – دراسة نقدية تحليليه) وقد اشتملت الرسالة على الآتي:

– الإهداء، وكتبت فيه إلى من أهديت هذه الرسالة.

– الشكر والتقدير:

ذكرت فيه شكري وتقديري والدعاء لكل من أعانني نفسياً ومادياً لاسيما والديَّ ومشرفي على الرسالة.

– المقدمة:

وتحدثت فيها عن سبب بحثي في هذا الموضوع، وجعلت عنوان الرسالة التي قدمتها لنيل درجة الماجستير، ثم فصَّلت فيها عن ماهية الدراسة لهذه الرسالة، ثم أجملت القول فيها عن منهج البحث وعن مفرداته.

– منهج البحث:

وبيَّنت فيه المنهج الذي سأعتمد عليه في دراستي للأبيات والقصائد المتعلقة بموضوع الرسالة وهو المنهج النقدي التحليلي مع ربطه بالجو النفسي لدى الشاعر.

– الدراسات السابقة:

تناولت ذكر الدراسات السابقة والتي أفدت منها، وما الذي تميزت وتفردت به هذه الرسالة.

– التمهيد:

تحدثت فيه عن علاقة الانسان بالطير من ناحية أن كليهما مخلوقان والإنسان بطبعه له علاقات مع المخلوقات من حوله، ثم ذكرت ما تميز به الطير من مكانة لدى الإنسان وما أسبابها، وتحدثت بآثار ذلك على الانسان العربي، وكيف أثر ذلك على تعلقه بالطير.

ثم ذكرت الفصل الاول ويشمل على مبحثين:

المبحث الأول: أنواع الطيور ومستوى الحضور في الشعر العربي:

تحدثت عن الطيور والتي كانت معروفه في تلك الحقبة – والتي قيد بحث الدراسة– وتصنيفها إلى صنفين الاليف والجارح، وكيف تعامل الانسان معها، وكيف نشأت بعض الهوايات المرتبطة بالطير، ثم تحدثت عن بعض العادات التي لدى العرب وكانت متعلقة بالطير – وذكرت مدى تعلقهم به وتسميت أولادهم بأسماء الطير.

المبحث الثاني: الطير والمعتقدات الاسطورية عند العرب:

وتحدثت فيه عن ماهية الاسطورة ومجالاتها، وذِكر بعضها إجمالاً، وذِكر الأساطير المتعلقة بالطير عند العرب تفصيلاً، مع ذكر الشواهد الشعرية من أشعارهم، ثم ذكرت أن هذه الأساطير لم تكن سائدة عند بعض العرب، وأن هناك من عقلائهم من أنكرها وحذر منها ودعا إلى نبذها.

ثم ذكرت الفصل الثاني: تشكل الخطاب الشعري وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أشكال الخطاب:

وتحدثت عن القالب والأشكال للأبيات التي جاءت فيها مخاطبة الشعراء الطير وجاءت في ثلاثة محاور:

– المناجاة. – المحاورة. – المناداة.

ثم ذكرت المبحث الثاني وهو:

وظيفة الخطاب ومسوغاته وما أسباب مخاطبة الشاعر لهذا الطير وجعلته في محورين: – البوح. – الأُنس بالطير.

ثم ذكرت المبحث الثالث:

وهو عن سمات الخطاب وأهم ما تميزت به مخاطبة الشاعر للطير وجعلته عن طريق محورين:

– الصور الفنية. – الظواهر الأسلوبية.

الخاتمة:

ثم ذكرت الخاتمة، وبينت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج وثمرات مكتسبة من خلال الرسالة ثم ذكرت قائمة المصادر، ودواوين الشعراء ثم فهرس الموضوعات.

والله ولي التوفيق

الطالب	المشرف
حمد بن علي الفقيه	أ.د. ماجـد بن ياسيـن الجعافرة

Message summary

Praise be to Allah, and peace and blessings be upon His Messenger, and his family, and his family, and his subordinates, and after: This is a summary of what contained the message that you are entitled (to address the bird in Arabic poetry until the end of the fifth century AH - critical examination analytic) have included the message as follows.

- Gifting, and wrote of it was donated to this letter.
- Thanks and appreciation.

Stating my thanks and appreciation and pray for each of helped me psychologically and physically, especially my parents and administrators to the letter

- Introduction:

And which she spoke about the reason for my research on this subject, and made the letter submitted by the Master's degree title, then separated from the nature of the study to the letter, then outlined to say where all the research methodology and vocabulary.

- Research Methodology:

And showed the approach that I shall rely upon in my study of the verses and poems on the subject of a critical letter: analytical approach linked with the psychological atmosphere poet.

- Previous studies:

Then he said previous studies dealt with and reported to them, and then separated to say in explanation, and the side that did not focus in Mbagesha, and Maalve marked and unique to this letter.

- Boot Talked about the relationship of man that certain birds in terms of both nature and man Makhluqan his relations with the creatures around him, then said Matmiz by the fowl of the status of humans and Maaspabha, and spoke of the effects on the Arab rights, and how did this affect his attachment to certain birds.

Then it reported the first chapter and includes two sections.

First: bird species and the level of attendance in Arabic poetry - talked about the birds, which were known in that era -walta under Search Aldrash- and classified into two categories pet and Garah, and how you treat human with it, and how did some of Interests associated with certain birds, then talked about some of the habits that haveArabs and were related to certain birds _ said the extent of their attachment to him and Tzmat their children the names of birds and bird names mentioned housing.

The second topic: the birds and mythical beliefs among the Arabs She spoke about the nature of myth and fields, and said some of them in total, said myths about certain birds when Arabs in detail, together with the evidence poetic 'notice, then dealt stated that these myths were not prevalent when some Arabs, and that there are wise men of denied by and warned them and called for a discarded.

Chapter II then said: constitute a poetic discourse and the three Investigation.

First topic: forms of speech: She spoke of template forms in which the verses of poems and poets to address the bird came and came in three axes: - Intimacy - dribble - Paging

Then it reported a second topic: the function of the speech and justifications and Maaspab poet to address the bird and made it in two axes: - Revealing - Humans.

Certain birdsThen said third section: a discourse about the most important features and Matmiz address by the poet of the bird and made it through two axes:

- Pictures technical - stylistic phenomena
- Conclusion:

Then reported the epilogue, and showed where the most-edge findings and the fruits acquired by letter: Then said the list of sources, and then collections of poets topics Index.

Paper by	DR. super visor
Hamd ali al-faqeh	Maged yasin al-qahfra

إهــداء

إلى زوجي وأم ولديَّ، التي كانت معي بمشاعرها وأمنياتها لي منذ التحاقي ببرنامج الماجستير وحتى إكمالي كتابة الرسالة؛ فأخذت عنّي كبير الحِمل في تربية الولدين حتى تترك لي أكبر المساحة من الوقت من أجل التفرغ لدراستي ورسالتي.

شكر وتقدير

أقدم شكري ودعائي مقرونين بالاعتراف بالتقصير والاعتذار لوالديّ؛ اللذين كان لهما أكبر الدعم النفسي في مسيرة بحثي بالدعاء لي تارة، وسؤالهما عن مسار بحثي في مراحل كتابته تارة أخرى. حفظهما الله ووفقني إلى برّهما.

كما أسجّل جزيل الشكر لأستاذي مشرف الرسالة: الأستاذ الدكتور ماجد الجعافرة على ما أبداه لي من نصح وإرشاد وتصويب وتوجيهات. سائلاً المولى عز وجل أن يبارك في علمه وعمره، ويزيده رفعة وقدراً. وأوجه جزيل الشكر لعضوي لجنة المناقشة أ. د. عبد الله الزهراني. وأ.د. سمير الدروبي، وسآخذ بملاحظتهما القيمة بإذن الله.

وكلُّ الشكر والتقدير أقدّمه لإخوتي الأفاضل.

ولخالي شقيق أمي: أبي أسامة.

وأقدم الشكر لأستاذي الدكتور إبراهيم السهلي. الذي هو صاحب فكرة موضوع الرسالة، تفضل على تلميذه بإهدائه هذا الموضوع الذي كان بحثي فيه.

كما أقدم أوفر الشكر وأجزله لزميل الدراسة وصديق العمر: أبي محمد عبده بن محمد الشطيري، الذي كان عوناً لي في إكمال دراستي لمرحلة الماجستير.

كما أتقدم بالشكر الجميل والتقدير الوفير للدكتور علي الجابري الفقيه، الذي لم يبخل عليّ بآرائه ومشورته لي.

وأقدم الشكر والتقدير لكل من سأل اطمئناناً عليّ ووقوفاً معنوياً معي.

مُقدَّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

منذ التحاقي ببرنامج الماجستير، وأنا أحمل همّ البحث عن موضوع يكون بحثي فيه؛ لنيل درجة الماجستير، وبتوفيق من الله اهتديت إلى موضوع:

مخاطبة الطير في الشعر العربي.

إن القارئ في دواوين الشعراء؛ يجد طريقة سار عليها بعض الشعراء في مخاطبة الطير ومناجاته فجرى على ألسنتهم ذكر أنواع متعددة من الطير: كالحمام، والقطا، والقمري، الغراب، الديك، القُبَّرة.

وإن الدارس لهذا الفن يجد أن الشعراء يختلفون في مخاطبتهم ومناجاتهم للطير؛ كل بحسب الحالة التي يعيشها، وكذلك بحسب موضوعات المخاطبة التي تخص نوع الطير المخاطب؛ فأوجد ذلك رغبةً لدى البحث الحالي لتقصي هذا الموضوع وجعله قيد البحث والدراسة؛ بدءاً بالبحث عن الأسباب التي جعلت الشاعر يُخاطب الطير، وما سرّ اختلاف موضوعات القصائد باختلاف نوع الطير المُخاطب في القصيدة، وما مستويات هذا الخطاب؟ وكيف انعكست مخاطبة الشاعر للطير على البنية الفنية للقصيدة التي تضمنت هذا الخطاب؟

ولهذا قررتُ أن رسالتي لنيل درجة الماجستير مخصصة في هذا الموضوع.

وستكون الدراسة على مدة زمنية محددة وهي:

من العصر الجاهلي إلى القرن الخامس الهجري؛ إذْ ستتناول هذه الدراسة مجموعة أبيات قيلت في تلك الحقبة والمدة الزمنية وستعتمد في دراستها على المنهج النقدي التحليلي الذي يُلامس الآفاق الجمالية للنص في مخاطبة الطير خصوصاً؛ من خلال ربط تحليل القصيدة بحالة الشاعر النفسيّة.

ويقتضي هذا بالطبع استعراض الطير في الشعر، وسبب ذكر الشعراء الطير في شعرهم.

فيكون الفصل الأوّل عن: الطير وأبعاده في الشعر.

ويتناول المبحث الأوّل فيه: أنواع الطير، ومستوى الحضور في الشعر العربي، وأكثرها وروداً في الشعر.

وسيتناول المبحث الثاني: الطير والمعتقدات الأسطورية عند العرب. وسأذكر بعض المعتقدات التي كانت سائدة عند العرب على وجه الخصوص المتعلقة بالطير وكيف حضورها في أشعارهم.

ثم سيُتناول في الفصل الثاني من هذه الرسالة تشكيل الخطاب الشعري في هذه القصائد وسيكون المبحث الأوّل من هذا الفصل عن: أشكال الخطاب.

وسيكون في ثلاثة محاور: المناجاة، المحاورة، والمناداة.

ثم سيُتناول في المبحث الثاني من الفصل الثاني: وظيفة الخطاب ومسوغاته.

وسيكون في محورين هما: البوح، والأنس بالطير.

ثم سيُتناول في المبحث الثالث من هذا الفصل: سمات الخطاب.

ويتضمن:

أ) الصور الفنية.   ب) الظواهر الأسلوبية.

ثم تختم الرسالة بعرض شامل للنتائج التي تم التوصل إليها حول:

الطير وعلاقته بالشعراء، ومخاطبتهم له.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل، كما أسأله أن يلهمنا الصواب.

والحمد لله أولاً، وآخراً، على عطاياه التي لا تُحصى، ونعمه التي لا تُنسى.

حمد بن علي بن حمد الفقيه

منهج البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهج النقدي التحليلي القائم على شرح القصائد التي كان سببها مخاطبة الشاعر للطير، وربطها بالحالة النفسية والشعورية لدى الشاعر وسبب مخاطبته لها.

وأما مصادر البحث ومراجعه، فتمثلت دواوين الشعراء الذين طرقوا هذا النوع من الخطاب، وكذلك المجموعات الشعرية من المصادر الأساسية لهذا البحث.

بالإضافة إلى المراجع المهمة التي لا غنى للبحث عنها، والتي قام الباحثون فيها بتحليل قصائد وردت فيها صور الطير مثل:

- الطير في الأدب العربي. لمحمد بن أحمد بن سعيد أبو زبيد.
- الطير في الشعر الجاهلي. لعبد القادر الربّاعي.
- الطير ودلالته في البنية الفنية والموضوعة للشعر قبل الإسلام لكامل عبد ربه الجبوري.

هذا ولم أبلغ في عملي ما يجب أن أبلغه، وحسبي أنني حاولت، ولم أبخل عليه بشيء أملكه من جهد، وعناية، ووقت.

وما أحسن ما قيل: يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، ومن السوار ما أحاط بالمعصم.

الدراسات السابقة:

- درس العديد من الباحثين محور (الطير في الشعر) ولكنهم لم يركزوا على جانب (المخاطبة) فيه، مثل:

- الطير في الشعر الجاهلي، عبد القادر الربّاعي.

كان هذا الكتاب عبارة عن ثلاثة مباحث:

تحدث في المبحث الأول عن صفات الطير وخصوصيته عن بقية الحيوانات، وذكر نماذج شعرية ذكر فيها الطير بأوصاف تعتبر له مزية.

ثم تحدث في المبحث الثاني عن بعض المعتقدات التي كانت سائدة لدى العرب في العصر الجاهلي المتعلقة بالطير.

وتحدث كذلك في مبحث الكتاب الثالث عن بعض التشبيهات الشعرية التي جاءت في قصائد بعض الشعراء الجاهليين وكيف كانت صورة الطير فيها.

- الطير ودلالته في البنية الفنية والموضوعية للشعر العربي قبل الإسلام لكامل عبدربه الجبوري.

وكان هذا الكتاب يهتم بالصور الفنية الشعرية ودلالتها للقصائد التي ذكر فيها الطير أو وصفه في العصر الجاهلي.

وهناك بعض الكتب المتعلقة بالطير؛ والتي لم أستطع الحصول عليها؛ لوجودها في دول حصلت فيها تغيرات سياسية وأحداث أمنية حالت دون تمكني من الوصول إليها والاطلاع عليها، مثل:

- صور من وصف الطيور في الشعر العربي. إيناس محمد سيد حسن.
- الطير في شعر شعراء العصر العباسي الأول. الحسيني: محمد إبراهيم الفقي.

التمهيد

الإنسان بطبعه يربط نفسه بالمخلوقات من حوله، والعربي في نشأته قد كوّن ثقافة حياتية مع من حوله من المخلوقات كالحصان والناقة.

ومن هذه المخلوقات التي حصل بينها ترابط مع الإنسان العربي هو: الطير.

لقد احتل هذا الجنس من المخلوقات (الطير) مكاناً واسعاً في حياة العرب؛ لما يمتلكه من خصوصية الطيران، التي تجعله بعيد المنال؛ لارتباطه بتجربة الصيد.

فتعلّق العربي بالطير تعلقاً واسعاً وجرى ذكره على ألسنة الشعراء ورسموا حوله كثيرًا من الأساطير والمعتقدات الخرافية، التي كانت تُروى مجالسهم وأسماءهم؛ فجعلته عنصراً مهماً في الحياة والموت، والحظ، والمطر، والحرب، واستجلاء الغيب.

وبهذا احتلَّ الطيرُ في شعر بعض الشعراء مكاناً واسعاً؛ وصوّروا بخيالهم الواسع مقدرته على التحدث والاستجابة والرد.

وظهرت على إثر ذلك أنواعاً متعددة في مخاطبته ومناجاته، على اختلاف أنواع هذا الطير المعروفة لديهم آنذاك؛ فالحمام والمقريّ لها خطاب يختلف عن الغراب والبوم، وبالتالي لكل خطاب صورته الفنية المتعلقة به.

وجاءت خطابات هؤلاء الشعراء في أشكال متنوعة، أثرى ذلك في الرصيد الشعري، والثقافي في أدبنا العربي.

وكانت هذه المناجاة باعثها الأول هو الباعث النفسي لدى الشاعر وما يحمله في نفسه من مشاعر.

فجاءت مخاطبة الشعراء لهذا الطير في مواقف مختلفة ما بين مناجاة، ومناداة، وحوار بينهما.

وستتضح في ثنايا هذه الرسالة نماذج لأشكال ومواقف هذه المخاطبة والباعث لها.

الفصـــل الأول

الطير في الشعـر العـربـي

- المبحث الأول: أنـواع الطيـور ومسـتوى الحضـور في الشعر العربي
- المبحث الثاني: الطير والمعتقدات الأسطورية عند العرب

المبحث الأول

أنواع الطيور ومستوى الحضور في الشعر العربي

الطير صنفان: أليف وجارح، بل قوي وضعيف، وقويها يفترس ضعفيها أحيانا، فصغار الطير تخشى وتهاب الجارح والقوي منها..... وقد ذُكر في أقوال بعض الشعراء، وأشاروا إليه إشارة واضحة، يقول الحطيئة[1]:

تَفَادَى كُمَاةُ الخَيْلِ مِنْ وقْع رُمْحِــهِ تَفَادِي خَشَاشِ الطَّيْرِ مِنْ وَقْعِ أَجْــدَلِ

في البيت بيان قوة الممدوح وحُسن ضربه بالرمح؛ حتى إن الفرسان لتتجنب ملاقاته في الحرب وتتفاداه تفادي صغار الطير للصقر، وكأن رماح الممدوح مصوّبة بدقة الصقر في الوقوع على فرائسه.

يتبين من البيت السابق للحطيئة ورود ذكر الطير في الصورة الشعرية التي شبه فيها دقة رماح الممدوح بدقة الصقر في رؤيته فرائسه وقدرته الفائقة على اصطيادها.

ويقول ذو الرمة[2]:

أميرُ أَبِي مُوسَى تَرى القَــومَ حَولَــهُ كَــأَنَّهم الكَــروَانُ أَبْصَــرَ بَازِيَــا

أراد أن يُبين حال القوم وهم بين يدي الأمير، وهيبتهم له، فوصفهم بطائر الكروان حينما يرى طائر الصقر.

---

(١) ديوان الحُطيئة. ص ١٧٣.

(٢) ديوان ذي الرمة، ص٧٧.

وقد تمكن الإنسان من ترويض بعضها كالصقور؛ حتّى أصبحت عملية تربيتها والصيد بها هواية محببة وشائقة لدى بعض الملوك والخلفاء والأمراء وأصحاب الجاه.

ومن أشهر من صادوا بالصقور:

حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ.

وكان يزيد بن معاوية بن أبي سفيان رحمه الله صاحب طرب وجوارح وكلاب؛ وكان مولعا بالصيد، ثم هشام بن عبد الملك بن مروان.

وكان أبو العباس السفاح شديد الولع بالضواري، شديد اللهج بالصيد، ثم أبو جعفر المنصور، ثم الرشيد كان أيضاً متعلقاً وشغوفاً بها؛ فكان يخرج للصيد ومعه عدد من أصدقائه، ورجال دولته، وبعض شعرائه كأبي نواس[١].

وهواية الصيد بالطير والقنص به ما زالت موجودة إلى يومنا هذا، وإن كانت قديماً أفضل مما عليه الآن ممارسة واهتماماً.

لقد عاش أغلب العرب في الماضي بين ربوع الصحراء على هيئة قبائل كانت تجوب الصحراء؛ طلباً للماء والكلأ وقد اعتمدوا على الحيوان، وكان له أكبر الأثر في حياتهم، فهو أقرب إلى نفوسهم وعواطفهم؛ لأنه رفيق سفرهم وشريكهم في تحمل مشقة الطريق...؛ مما دفعهم إلى العناية به عناية خاصة حتى عرفوا طباعه وخبروا مميزاته.

(١) الصيد بالصقور. مجلة التربية القطرية. العدد: ٢١.

والطير جنس من الحيوان احتل مكاناً واسعاً في حياة العرب؛ لاتصاله بأسباب حياتهم بيد أن عنايتهم به كانت أقل من عنايتهم بسائر أجناس الحيوان بالرغم من وروده في أشعارهم؛ ولعل ذلك نابع من ندرة الاستفادة منه في حياتهم اليومية؛ بسبب بعده عنهم لما يمتلكه من خصوصية الطيران بخلاف الكائنات الأخرى التي كانت تمثل جزءاً من حياتهم، بيد أنهم استمدوا منه مظاهر أخرى كان من أبرزها: جَماله وسرعته، وبعد مناله، وارتباطه بتجربة الصيد التي عرفها العربي ودوّنها في أشعاره.

فقد كان العرب في الجاهلية من منطلق ضرورة الحياة وحاجاتها، وملء الفراغ يندفعون إلى ممارسة الصيد بوسائل محدودة..... بيد أنهم لم يتخذوا هذه الهواية حرفة؛ فهم كانوا يستذلون حرفة الصيد ويحتقرونها آنذاك؛ لإيمانهم بمظاهر القوة والبطولة، واقتحام الأهوال... وهذا ما حمل الجاحظ على قوله: "وقد وجدنا العرب يستذلون الصيد ويحقرون الصياد"(١)، "وتعرض من بينهم للهجاء أقوام بسبب امتهانهم الصيد"(٢).

وبعد ظهور الإسلام؛ اختفت هذه النقيصة؛ لورود ما يدل عليها في القرآن الكريم ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾(٣).

والعرب في الجاهلية آمنوا بأشياء واعتقدوا بمعتقدات ومارسوا خُرافات وفقا لإيمانهم بها في واقعهم الاجتماعي والبيئي في تأريخهم الطويل حتى غدا عالمهم زاخراً في كثير من جوانبه بعَدَدٍ هائل من الأساطير التي ورثوها عن الأسلاف.

---

(١) الحيوان. للجاحظ. ج ٢/ ٣٠٩.

(٢) المصدر السابق. ج٢/ ٣١٠.

(٣) سورة المائدة: آية ٤.

واحتل الطير مكاناً بارزاً من هذه المعتقدات والأساطير التي دونها شعرهم؛ إذ لا يمكن فصل صور الشعر الجاهلي عن الفكر الذي نهل منه الشعراء في تجاربهم وصورهم الفنية، فمن العقائد التي آمن بها الجاهليون والتزموا بها ظاهرة "زجر الطير".

ذكر المبرد:

"أن العرب تزجر على السانح وتتبرك به، وتكره البارح(١) وتتشاءم به...".

وممّا تجدر الإشارة إليه أن أمر السانح والبارح كان معتقداً في العصر الجاهلي يُشير إلى نوع من مواجهة إنسان ذلك العصر لمصيره، وتوجسه من المجهول...، بيد أنه لم يكن العرب كلهم متفقين على أمر السانح والبارح؛ فأهل نجد يتيمنون بالسانح وأهل الحجاز يتشاءمون منه(٢).

واستمر الاعتقاد بهذه الظاهرة حتى ظهر الإسلام فنهى الرسول ﷺ عنها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر"(٣).

---

(١) الكامل في اللغة والأدب. للمبرد.

(٢) العمدة. لابن رشيق. ج ٢ / ٢٦٢ ، لسان العرب. لابن منظور. مادة: سنح.

(٣) صحيح البخاري. رقم الحديث: ٥٧٥٧.

ومما اعتقد به بعض العرب في الجاهلية:

أهم يزعمون أنه إذا قُتل الرجل و لم يُؤخذ بثأره؛ خرجت هامة المقتول وهو طائر يسمى: "الصدى" ينادي الليل كله: اسقوني.... اسقوني، حتى يُقتل قاتله فيسكن...، ويسمونه أيضاً "الهامة"(١).

ومما يُظهر مكانة الطير لدى العربي أنه قد يُسمي بعض أولاده بأسماء الطير فكان بينهم: القطامي "الصقر"، واليعقوب "ذكر الحجل"، والهيثم "فرخ العقاب"، وعكرمة "الحمامة" وغير ذلك(٢).

هذا بالإضافة إلى أهم قد جعلوا له صفات كثيرة، واهتموا بصوته وجعلوا لكل صوت طير اسماً... فقالوا: هديل الحمام، نعيق الغراب، صياح الديك، واهتموا كذلك بمساكنه وأمكنته التي يألفها وتناولوا ذلك في أشعارهم... فنجد مثلاً من مساكن الطير التي ذكروها في أشعارهم: "وكنات الطير"، مثل قول امرئ القيس في معلقته، حيث يقول(٣):

وَقَدْ أغْتَدِي والطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ

فوضح الشاعر أنه في خروجه لطلب الرزق والصيد يكون مُبكرا بخروجه وهو على فرسه، وأنه يسبق الطير في الخروج، وهي ما تزال في أعشاشها.

(١) البيان والتبيين. للجاحظ. ج ١ / ٢٨٤.

(٢) أدب الكاتب. لابن قتيبة. ص: ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ .

(٣) ديوان امرئ القيس، ص١٩.

ويقول علقمة الفحل[1]:

وَقَدْ أَغْتدِي والطَّيْرُ فِـي وَكُنَاتِهَـا وَمَاءُ النَّدَى يَجْرِي عَلَى كُلِّ مَـذْنَبِ

إذ صوّر الشاعر خروجه لطلب الرزق مُبكراً، مع سيلان ماء الندى من ورق الأشجار على جدول الماء الصغير وهو الروض.

ومن مساكنه أيضا التي ذكروها في أشعارهم "وكر الغراب".

تقول الخنساء في رثاء أخيها صخر[2]:

وَهُمَـا كَأَنَّهما وَقَـدْ بَـرَزَا صَـقرَانِ قَـدْ حَطَّـا عَلَـى وَكْـرِ

تُشبه الخنساء أخويها: صخرا ومعاوية حين قتال العدو وشدة بأسهما في الانقضاض على الأعداء؛ كأنهما صقران نزلا من علوٍ على وكرِ.

ويقول الأخطل[3]:

فظَـلَّ يُفَـديها وظلَّـت كأنَّهـا عقابٌ دعاها جُنحُ ليـلٍ إلى وَكْـرِ

في البيت يهجو الأخطل رجلاً ويصف هروبه على فرسه خوفاً من الموت، بالعقاب حين يحل الليل عليها تهرب طلباً للأمن والنجاة.

(١) ديوان علقمة الفحل، ص ١٢.

(٢) ديوان الخنساء، ص ٧٦.

(٣) ديوان الأخطل، ص ٦٦.

ويقول الشماخ الذبياني[1]:

نَمَاهـــا العِـــزُّ فِـــي قَطِـــنٍ نَمَاهَـــا　　　إِلَـــى فَـــرْخَيْنِ فِـــي وَكْـــرٍ رَفِيـــعِ

يذكر الشاعر عقاباً عزّ مكانها وارتفع في جبل قطن ببلاد نجد.

ويقول الشريف المرتضى أيضا[2]:

كَـــأَنَّنِي نَصـــلٌ بِـــلا مِقْـــبِضٍ　　　أَوْ طَـــائِرٍ ظَـــلَّ بِـــلا وَكْـــرِ

يصف الشاعر نفسه بأنه قد أصبح لا مُعين له ولا سند؛ كالسيف الذي لا مقبض له، وكالطير الذي لا وكر له.

ومما ذكرته العرب مما يألفه الطير في أشعارها ما ذكره عنترة بن شداد في إحدى قصائده حينما ذكر "بطن جزع" وهو مألف لبيض الحمام[3] حيث يقول:

ومسكن أهلها مـــن بطـــن جـــزع　　　تبـــيض بـــه مصـــايف الحمـــام

في البيت دلالة على الأُلفة والأمن الذي وفره أهلُ المحبوبة؛ حتى إن الحمام يبيضُ بديارهم؛ لأنه يأمن على بيضه وفراخه أن يعتدي عليها أحد.

وذكرت العرب أيضا مفحص القطاة وعش الطير وغيرها من مساكن الطير وما كانت تألفه.. والطير عندما يكون في جماعة يطلق عليه "سِرْب" إذ تقول العرب:

(١) ديوان الشماخ، ص ٢٢٨.

(٢) ديوان الشريف المرتضى، ص ٨٠٤.

(٣) ديوان عنترة. ص: ٢٤١

يقول مجنون ليلى[1]:

شَكَوْتُ إِلَى سِرْبِ القَطَا إذْ مَرَرْنَ بِي فَقُلْتُ وَمِثْلِي بِالبُكَاءِ جَدِيرُ
أَسِربَ القَطَا هَلْ مِنْ مُعِيرٍ جَنَاحَهُ؟ لَعلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوِيْتُ أَطِير

مما سبق تظهر مترلة الطير، أنها قد شغلت مكاناً مهماً في الأدب العربي وارتبطت بمعتقدات ظهر أثرُها جلياً في أشعارهم وأمثالهم وارتبطت بها جوانب غالبة في حياتهم؛ عليه حفل نتاجهم الأدبي بمادة لغوية لا بأس بها عن الطير وأسمائه وكناه وكل ما يتصل بأجزائه وأصواته وأماكنه وجماعاته وحركاته وطباعه وضربوا الأمثال الكثيرة بها وبصفاتها وبألوانها، وتغنى الشعراء به وسطروا في ذلك شعراً جميلاً، لا يزال يُتداول إلى يومنا هذا.

وقد تمَّ تناول الطير في كثير من المؤلفات بالوصف والدراسة العميقة، ولعل من أبرز هذه المؤلفات: كتاب الحيوان للجاحظ، وحياة الحيوان للدميري، وعجائب المخلوقات للقزويني، وذكر ابن النديم في مصنفه الشهير "الفهرست" عدداً من الكتب والرسائل القديمة المؤلفة في الطير إلا أن أكثرها ضاع و لم يصل إلينا بفعل يد الزمن.

والمتأمل ما ذُكر لدى بعض الشعراء؛ يتضح أنهم أغرقوا في مناجاة الطير؛ فأظهروه بخيالهم الواسع وكأنه قادر على التحدث والاستجابة والرد، وبعضهم استأنس به واتخذه صديقاً يبث إليه همومه وأسراره، ويناجونه بخطاب يختلف من طير إلى آخر.

(١) ديوان مجنون ليلى. ص: ٩٩

والطير بأنواعه يختلف مستوى حضوره وذكره في الشعر العربي...، فما كل الطيور قد ذكرت في قصائد الشعراء في الحقبة الزمنية التي يُعنى البحث الحالي بدراستها... [1].

ومن أكثر الطيور ذكراً في الشعر العربي وحضوراً عند الشعراء: "طائر الحمام"؛ لما يوحي به من الجمال والوداعة والألفة أكثر من غيره من الطيور ولما يحركه في نفس الشاعر من شجن وعاطفة بنوحها وشدوها وهديلها.

وقد ارتبطت الحمامة في الشعر العربي غالبا مع البين والفراق، فأكثر الشعراء وقف عليها وهي على الغصون تشجو؛ فكانت تذكرهم غربتهم، فمنهم من أحزنته، ومنهم من تعاطف معها، ومنهم من أشفق عليها، ومنهم من قاس غربته على أنينها، وكانت بينهما ألفة وشجو واستنطاق، وأحيانا مشاركة في الشجن والألم والحنين.

يقول أبو ذؤيب الهذلي[2]:

تَدعُو الحَمَامَةُ شَجْوَها فَتهيّجَنِي وَبِرُوحِ عَازِب شَوْقِي المُتأوِّبِ

يذكر أبو ذؤيب الهذلي كيف هيَّج مشاعر حُبه وشوقه سماعه لصوت الحمامة وهي تُغرد وتبكي على إلفها.

---

(١) وتبدأ من العصر الجاهلي حتى القرن الخامس الهجري.

(٢) ديوان أبي ذؤيب الهذلي، ص

وتقول الخنساء[1]:

أَبْكي لِصَــخرٍ إِذَا نَاحَــتْ مُطَوَّقَــةٌ   حَمَامَةٌ شَــجْوهَا وَرْقَــاءُ بِــالوَادِي

تذكر لنا الخنساء شدة حزنها على مقتل أخيها صخرٍ، وكيف أنها تتجدد عليها الأحزان والبكاء عند سماعها نداء الحمامة وشدوها.

وتقول[2]:

تَذَكَّرْتُ صَخْرًا إِذْ تَغَنَّــت حَمَامَــةٌ   هَتُوف عَلَى غُصْنٍ من الأَيْكِ تَسْــجَعُ

فَظِلْتُ لَها أَبكِــي بِــدَمعٍ حَزِينَــةٍ   وَقَلْبِــي مِمَّــا ذَكَّرَتْنِــي مُوَجَّــعُ

تُذَكِّرُني صَخْرًا وَقَدْ حَــالَ دُونَــهُ   صَــفِيحٌ وأَحْجَــارٌ وبَيْــداءُ بَلْقَــعُ

تحكي الخنساء تذكرها لصخرٍ عند سماعها شدوَ الحمامة وغنائها، فتظل تبكي عليه وتسح الدموع ليه، ومما يزيد في ألمها وحزنها أنه بعيد عنها لا سبيل لها في رؤيته.

ويقول مجنون ليلى[3]:

لَقَدْ هَتَفَتْ فِي جُنْحِ لَيْــلٍ حَمَامَــةٌ   عَلَــى فَــنَنٍ وَهْنًــا وإِنِّــي لَنَــائِمُ

كَذَبْتُ- وبَيْتِ اللهِ- لَوْ كُنْتُ عَاشِقًا   لَمَــا سَــبَقَتْنِي بالبُكَــاءِ الحَمَــائِمُ

يذكر لنا مجنون ليلى بأنه يسابق الحمام بالبكاء على ليلى قبــل بكائهــا علــى الأغصان وشجوها على الأفنان، وبأن حبه غير صادق لو سبقته الحمام في البكاء.

(١) ديوان الخنساء، ص ١٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٣.

(٣) ديوان قيس بن الملوح، ص ١٨٣.

ويقول أيضا[1]:

أَلا قَاتـــلَ اللهُ الحَمَامَـــة غُـــدْوَةً ... على الغُصْنِ مَاذا هيَّجَتْ حِينَ غَنَّـــتِ

تَغنَّتْ بِلَحْـــنٍ أَعْجَمـــيٍّ فهيَّجَـــتْ ... هَوايَ الّذي بين الضُّـــلوع أَجَنَّـــتِ

يدعو الشاعر على الحمامة لأنه حين غرّدت وغنّت حرّكت مشاعر الحب في نفسه لمحبوبته ليلى.

ويقول أبو فراس الحمداني[2]:

أَقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبِـــي حَمَامَـــةٌ ... أيَا جَارَتَـــا هَـــلْ تَشْـــعُرِينَ بِحَـــالِي

أيَا جَارتَا ما أَنْصَفَ الـــدَّهْرُ بيَننَـــا ... تَعَـــالَيْ أُقَاسِـــمْكِ الهُمُـــومَ تَعَـــالِي

أَيَضْحَكُ مَأسُـــورٌ وَتَبكِـــي طَلِيقَـــةٌ ... وَيَسْكُتُ مَحـــزْونٌ وَيَنْـــدبُ سَـــالِ

ومما سبق؛ يتأكد اقتران البكاء والنوح بذكر الحمام في الشعر العربي؛ إذ يثير في بكائه ونوحه شجوهم ويُذكي فيهم جذوة البعد ولوعة الفراق...

ولعل السبب في كثرة ذكره أنسه بالناس وأنس الناس به، ومن يقرأ في دواوين الشعراء يجد أهم وقفوا عنده بصوره مباشره أو غير مباشره... وكان له أيضا حظه في الأمثال فقالوا: "تقلدها طوق الحمامة"[3] ولعله مأخوذ من قول عبيد بن الأبرص:

أذْهَـــبْ بِهَـــا أَذْهَـــبْ بِهـــا ... طُوِّقْتَهَـــا طَـــوْقَ الحَمَامَـــة[4]

(١) نُسب هذان البيتان إلى: نصيب بن رياح؛ ولكن عند البحث وجدتُهما في ديوان: قيس بن الملوح، ص٥٧.

(٢) ديوان أبي فراس الحمداني، ص ٢١١-٢١٢.

(٣) المستقصى. للزمخشري. ج ٢ / ٣٠ ، وقيل: كناية عن الخصلة القبيحة.

(٤) الحيوان في الأدب العربي. ج ١ / ٣٣٣.

أي لا يُزايلها ولا يتركها كالطوق في عنق الحمامة.

ومما يدل على ألفة الشاعر العربي لطائر الحمام؛ أنه تابع حياة هذا الطائر، وربط جزءاً من حياته به، حتى أنه دقق في طبائعه وحدد ما يميزه عن سائر الطيور؛ فوجد أن الحمام أشد أنواع الطيور طيرانا.

ولن ترى جماعة طير أكثر طيرانا إذا كثرت من الحمام فإنها إذا التقت ضاق موضعها وكان أشد لطيرانها.

وقد انتبه النابغة الذبياني لهذا الجانب في قوله[(١)]:

أَحْكُم كَحكْم فَتَاةَ الحَيّ إِذْ نَظَرتْ ... إِلَى حَمَامٍ شِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمدِ

يَحفُّه جَانِبَا نيقٍ وَتُتْبَعُهُ ... مِثلَ الزُّجَاجةِ لم تَكحَلْ مِنْ الرَّمَدِ

من قصيدة للنابغة يخاطب بها النعمان بن المنذر ويُعاتبه، ويعتذر إليه ممَّا اتهم به عنده، ويطلب منه: إذا حكم في أمره أن يكون حكيماً كهذه الفتاة – ويقصد بها: زرقاء اليمامة– أي: أصِب في أمري كإصابتها في إبصارها بالنظر الصحيح.

والشاعر العربي – وإن ربط في شِعره الشجن والحزن بالحمام – قد أكثر في شعره من ذكر "طائر الغراب" وربط بينه وبين الشؤم، وجرت على لسان العربي أمثالٌ كثيرة خُصصت بذكر هذا الطائر الأسود.

فالعرب تقول:

"فلان أبصر من الغراب"؛ لحدة بصر الغراب.

وتقول: "فلان أحذر من غراب"؛ لشدة حذر الغراب.

---

(١) ديوان النابغة، ص ١٩.

وتقول: "هذا بأبيه أشبه من الغراب"؛ لأن الغربان تتشابه إن لم نقل تتماثل.

وتقول: "وجد تمرة الغراب"؛ ذلك أن الغراب يتبع أجود التمور فينتقيها[1].

وغيرها من الأمثال.

والعرب تقول:

أغربة العرب وهم: سوداهم، شبهوهم بالأغربة في لوهم، ومن الأغربة في الجاهلية: عنترة بن شداد، والسليك بن السلكة، وخفاف بن ندبة السلمي.

وهشام بن عقبة بن أبي معيط وغيرهم[2].

والغراب رمزُ تشاؤم في كثير من أشعار العرب.....

ومن تشاؤمهم بالغراب اشتقوا من اسمه: الغربة والاغتراب.

واشتقوا من اسمه: الغربيب "صفة اللون شديد السواد"[3].

وأما تسميته "أي الغراب" بغراب البين جاء في كتاب الحيوان: "وكل غراب يقال له: غراب البين، إذا أرادو به الشؤم، أما غراب البين نفسه فغراب صغير، وإنما قيل لكل غراب "غراب البين"؛ لسقوطه في مواضع منازلهم إذا بانوا عنها"[4].

(١) تاج العروس. للزبيدي. مادة: غرب.

(٢) لسان العرب. لابن منظور. مادة: غرب.

(٣) الحيوان. للجاحظ. ج ٢ / ٣١٦.

(٤) الحيوان. للجاحظ. ج ٣ / ٤٣١.

ولذلك كره العرب رؤية الغراب لأنه يدل على تفرق الأحبة ونأيهم عن ديارهم، ولشدة بغض العرب للغراب فإنه عدوا أكل لحمه عاراً؛ فيتعايرون بأكل لحمه...[1].

والغربان جنس من الأجناس الخمسة التي أمر الشرع بقتلها في الحل والحرم وهي من الفواسق.

لحديث عائشة أن النبي ﷺ قال: "خمس فواسق يقتلن في الحرم". وذكر منها الغراب"[2].

وتُطلق العرب على صوت الغراب "نعيق" بالُمهملة و "نغيق" بالُمعجمة؛ يقول بشار بن برد[3]:

يَا رُبَّ قَائِلــةْ –وغُيِّــبَ عِلْمُهَــا–　　　ماذا يَهيجُــكَ مــن نَعيــقِ غُــرَابِ

يُنكر بشار بن برد على من ينكر عليه نفرته واضطرابه من نعيق الغراب، وأن لا علم لدى من ينكر عليه بماذا ينعق الغراب، لاختلاف لسان التعبير بينهما.

ويقول المفضل النكري[4]:

تَرَكْنَــا العُــرْجَ عَاكِفَــةً عَلَــيْهِم　　　وللغِرْبَــانِ مِــنْ شَــبَعٍ نَغِيــقُ

(١) المصدر السابق. ج ٢ / ٣١٧.

(٢) صحيح البخاري، رقم الحديث: ٣٣١٤.

(٣) ديوان بشار بن برد، ص ٥٦.

(٤) الأصمعيات، ص٦٠.

في البيت يذكر الشاعر: أنه انتصر من أعدائه وقتلهم وتركهم صرعى وجيفاً وأن الضباع تأكل من لحومهم والغربان كذلك.

وهناك من يُطلق عليه: نعيب، وأنشد الجاحظ[1]:

خَرَّ غُــرَابُ البَــيْنِ مِــنْ حَــالِقٍ   لَــــهُ نَعِيــــبٌ فَرشَــــقْنَاهُ

يحكي الشاعر مشاعرهم البغيضة للغراب، فما أن رأوه هبط على الأرض وسمعوا نعيبه؛ إلا بادروه برشقه بالحجارة.

وغراب البين مُتنوع الأوصاف في شعر العرب؛ ومن ذلك قول عنترة بن شداد العبسي[2]:

أَلا يا غُرابَ البَيْنِ لَوْ كُنْتَ صَاحِبِي   قَطَعْنَـــا بِـــلاَد اللهِ بالــــدَّوَرَانِ

وصف الشاعر الغراب بالعشوائية والحركة دون هدف.

وأبو حية النميري[3]:

أَلا يَا غُرَابَ البَــيْنِ فِــيم تَصِــيحُ   لَصَــــوتُكَ مَشْــــنُوءٌ إلَيَّ قَبِــــيحُ

في البيت يخاطب الشاعر الغراب ويسأله عن سبب صياحه، ويخبره بشناعة صوته لديه، وكأنه ما سمع هذا الصوت إلا وكان وراءه خبر سوء لارتباط صوته بالأحداث غير السارة لديه.

(١) البديع في نقد الشعر، ص ١٤٣.

(٢) ديوان عنترة، ص ١٨٠.

(٣) ديوان أبي حيّة النميري، ص١٢٧.

يقول قيس بن ذريح[1]:

أَلاَ يَا غُرَابَ البَيْنِ مَالَك كُلَّمَا   تَذَكَّرتُ لُبَينى طِرْتَ لِي عَنْ شِمَالِيا

ويخاطب الشاعر الغراب مستفهماً مُعاتباً: لماذا كل ما تذكرت لبنى طرت لي عن الشمال، وهذا نذير شؤم لدى الشاعر، وفي الإشارة إلى الشمال دلالة على الطيرة وزيادة التألم في المستقبل، وانعدام الأمل في لقاء المحبوبة.

ويقول أيضاً[2]:

أَلا يَا غُرَابَ البَيْنِ قَدْ طِرَتَ بِالَّذِي   أُحَاذِرُ مِنْ لُبَنَى فَهْل أَنْتَ وَاقعُ

يخاطب قيس بن ذُريح الغراب بقوله: لقد طرت بالذي أُحاذر... أي أخاف أن أفقده فيسبب لي فقدانه الضرر وكذلك لمحبوبتي: لُبنى، والذي طار به الغراب هو: الحِرز، الذي أحرز به الشاعر لُبنى خوفاً عليها من الضياع.

وتقول خوله بنت الأزور الكندية[3]:

أَلا يَا غُرَابَ البَيْنِ هَلْ أَنتَ مُخْبِري   فَهلْ بِقُدومِ الغَائِبيْنَ تُبشَّرنَا

الشاعرة يائسة من قدوم الأحبة وترى في رؤية الغراب دلالة على أن الغائبين سيطول غيابهم، وأن أملها اضمحل وتلاشى بسبب رؤيتها هذا الغراب المشؤوم.

(١) ديوان قيس لُبنى، ص ١٢٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٧.

(٣) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ج١، ص ١٧٣.

ويقول ابن الدمينة[1]:

أَلا يَا غُرَابَ البَيْنِ مِـــمَّ تَلِــيحُ لِـــي   كَلاَمُـــكَ مَشْـــنِيٌّ وَأَنْـــتَ صَـــرِيحُ

يخاطب الشاعر الغراب فيقول: لماذا تعرض لي؟ إني لأبغض صوتك ورؤيتك، فكأن الشاعر لا يرى المصائب إلا مع رؤية هذا الغراب.

ويقول كثير عزة[2]:

أإنْ زُمَّ أَجْمَـــال وَفَـــارَق جِـــيرةٌ   وَصَاحَ غُرابُ البَيْنِ: أَنــتَ حَـــزِينُ؟

وهنا يخاطب الشاعر نفسه بقوله: إذا حُمِلت الأمتعة على الجمال وفارق الأحباب وصاح الغراب بالبين والفِراق؛ أتحزن عليهم، وفي هذا إشارة إلى تواجد الغراب فيما بعد الضعن والفراق، وجعل ذلك من أوصافه.

ويقول يزيد بن الطثرية[3]:

وَصَـــاتُكَ بِـــالعُهودِ فَقَـــدْ رَأَيْنَـــا   غُـــرابَ البَـــيْنِ أَوْقَـــعْ ثُـــمَّ طَـــارَا

وهنا يُوصي الشاعر بالعهود ويُشدّد على ذلك، ويُبيِّن أن سبب ذلك رؤيته غراب البين نزل في الديار ثم طار؛ وهذا نذير شؤم لدى الشاعر.

---

(١) ديوان ابن الدمينة، ص ٣٤.

(٢) ديوان كُثير عزة، ص ١٧٠.

(٣) ديوان يزيد بن الطثرية، ص ٤٠.

ويقول أبو نواس(1):

والعَن غُـراب البَـيْنِ بَغضـاً لـهُ   فإنَّـه دَاعيـةُ الشـومِ

وهنا يطلب الشاعر أن يُلعن غراب البين وأن يُسب لأنه داعية شؤم وفِراق ومصائب، وهذا من أقبح أوصافه.

ويقول أبو الطيب المتنبي(2):

أَبنِي أَبِيْنَـا نَحـنُ أَهـلُ مَنَـازِل   أبـدًا غُـرابُ البَـيْنِ فِيهـا يَنْعِـقُ

وهنا يحكي المتنبي أن دياره وديار أهله أنها مرتعٌ للمصائب؛ فغراب البين دائم النعيق فيها.

وتقول فاطمة بنت الحسين رضي الله عنها(3):

نَعـقَ الغُـرابُ فَقلْـتُ مَـنْ   تَنعَـاه وَيْحَـكَ يـا غُـرابُ

وتخبر هنا الشاعر: أنها فزعت وخافت حين سمعت نعيق الغراب، فتساءلت من تخبرنا بنعيه وفقده يا غراب.

ويقول هدبة بن الخشرم(4):

يُخبِّرنَـا الغُـرابُ بـأن سَـتنأَى   حَبَائِبُنـا فَقَـدتُك يـا غـرابُ

---

(1) ديوان أبي نواس، ص ٤٠٨.

(2) ديوان المتنبي، ص ٢١٦.

(3) تاريخ ابن عساكر، ج: ٧٠، ص ٢٤.

(4) ديوان هدبة بن الخشرم، ص ٦٣.

وهنا يُخبر الشاعر: أن الغراب أخبره – بنعيقه ونعيبه – بأن سيفارق أحبابه؛ فأخذ يدعو على الغراب بالموت، فقدتك يا غراب.

وخلاصة القول:

أن غالب نظرة العرب للغراب: أنه طائر خبيث كره العرب رؤيته؛ لأنه عندهم يُنذر بالموت والبلاء، وتفرق الأحبة، وله صفات خُصَّت به من دون الطيور الأخرى...

القطاة والقمري

ومما ذكره الشعراء من الطيور: "القطاة"، القطاة: واحدة القطا، وهو نوع من الحمام، يُؤثر الحياة في البراري، ويتخذ عشه "أفحوصه" على الأرض - وليس على أغصان، ويطير جماعات مُتحدة[1].

يقول الحطيئة[2]:

حَصَانٌ لَهَا فِي البَيْـــتِ زَيٌ وبَهجـــةٌ ومشيٌ كَمَا تَمْشِي القَطــاةُ قطــوفُ

يصف الحطيئة: فتاة بأوصاف عفيفة ذات جمال في جسدها ولَبسها ولها مشية كمشية القطاه فيها بطء وثِقل.

ويقول الطرماح[3]:

كَحُلْقُـــوم القَطَــاةِ أُمـــرَّ شَـــزَراً كـــإمْرارِ المُحَـــدْرَجِ ذي الأُســـونِ

يشبه الحبل وهو مشدود بحلقوم القطاة شُدّ كشدّ السوط.

ويقول النابغة الجعدي[4]:

عَلَـــى أَنَّ حَارِكَـــهُ مُشـــرِفٌ وَظَهـــر القطَـــاةِ ولم يَحـــدَبِ

---

(١) المعجم الوسيط. "القطاة"

(٢) ديوان الحطيئة، ص٥٨.

(٣) ديوان الطرماح، ص ٨٣.

(٤) ديوان النابغة الجعدي، ص ٣٧.

في البيت يصف الشاعر: مُلتقى كتفي الفرس بأنه مرتفع كظهر القطاة، وفيه دلالة على أصالة هذا الفرس.

ويقول جرير[1]:

وَيَــــومٍ كَإِبْهَـــامِ القَطَـــاةِ مُـــزَّينٍ إِليَّ صِـــباهُ غَالِـــبٍ لِـــيَ بَاطِلُـــه

يصف الشاعر أياماً تمر عليه وجد فيها راحته و لم يتكدر فيها عيشه، ولكن هذه الأيام كانت قصيرة في حياته كإبهام القطاة.. ويضرب بها المثل في القِصر.

ويقول الحسل الهمداني[2]:

تُخَبِّرُنِـــــي بِالنَّجَـــاةِ القطـــــاةُ وَقَـــولُ الغُـــرابِ لَهـــا شَـــاهِدُ

في البيت يتفاءل الشاعر بالنجاة والفك من الأسر، وقد أسره الأعداء ويقول: بأن القطاة قد خبَّرته بنجاته، والغراب الذي لا يُبشر إلاَّ بالشر، شهد لها بذلك وهذا تأكيد منه لنفسه بالنجاة والسلامة.

ويقول الشنفرى[3]:

عَليهِ نَسارِيٌ عَلَـــىْ خـــوطِ نَبعَـــةٍ وَفَوقٍ كَعُرقوبِ القَطَـــاةِ مُـــدَحْرَجِ

يصف الشاعر نفسه بأن عليه ملابس ممزقة وبالية، وجسمه من تحتها خفيف في حركته ومشيته؛ ليُدلل على سرعته، ويذكر أن معه سهما كعرقوب القطاة مدحرج يصيب به ما يشاء ويصيده.

---

(١) ديوان جرير، ص ٣٣١.

(٢) في تأريخ الأدب الجاهلي، ج١، ص٧١.

(٣) ديوان الشنفرى، ص ٤٠.

ومن أشباه القطاة؛ يأتي طائر "القمري".

والقمري هو: نوع من الحمام، حسن الصوت، ذو منظرٍ جميل، ويُجمع على: قماري وقُمر(١).

يقول البحتري(٢):

لَمَّا رَئَيتَ رَجاءً خِلْـتُ أَنَّـك قَـدْ ثَأَرتَـهُ بِبُكـا القُمـرِيُّ فِي الفَـنَنِ

في البيت يهجو البحتري: الحسن بن رجاء؛ لأنه ترك معاونة أبيه ونصرته حتى قُتل، فلم يأخذ بثأره إلا بالبكاء كما يبكي القمريّ على الأغصان.

ويقول أبو تمام(٣):

سَاقٌ عَلَـى سَـاقٍ دَعـا قُمريَّـةً فَـدَعَتْ تُقَاسِـمُهُ الهَـوى وتَصـيِدُ

وأبو تمام يصف في هذا البيت: أن ذكر الحمامَ أو القمري كان على ساق الشجرة "غصناً" يدعو بغنائه قمرية فجاوبته بسجعها مشاركة له في الهوى والحب.

ويقول بشار بن برد(٤):

إِذَا هَتَفَ القُمرِيُّ رَاجَعَـني الهَـوى بِشَوقٍ وَلَم أَملُك دُموعِي مِنَ الوَجـدِ

(١) المعجم الوسيط. "القمري".

(٢) ديوان البحتري، ص ٩٦٣.

(٣) ديوان أبي تمام، ص ٢١٥.

(٤) ديوان بشار بن برد، ص ١٣٩.

ويخبر الشاعر عن مالك عند سماعه صوت القمريّ وغنائه يتجدد الهوى والشوق فما هو إلا وتسيل دموعه على خديه من الفَقد لمن يُحب ويشتاق إليه.

ويقول الشريف المرتضى[1]:

لا جِرْسَ فيه غير أنْ صَدَحَتْ قُمرِيَّةٌ أو قَعْقَعَ الرَّعْدُ

يصف الشاعر الديار وقد اندرست وخلت من أهلها فلست تسمع فيها صوتاً إلا صياح القمرية أو صوت الرعد.

ويقول خلف الأحمر[2]:

وَقَدْ شَاقِني نَوحُ قُمرِيَّةٍ طَروبِ العَشِيِّ هَتوفِ الضُحى

حرّك مشاعر الحب والشوق في نفس الشاعر سماعه تغريد القمرية، تغريداً يُطرب بالليل، ويشجي بالنهار.

وتقول فاطمة الزهراء[3]:

فَإِذا بَكَتْ قُمرِيَّةٌ فِي لَيْلِها شَجناً عَلى غُصْنٍ بَكيتُ صَباحِيَا

في البيت تحكي لنا الشاعرة: حالة الحزن التي تعيشها وبأنها تصبح في يومها حزينة باكية كل ما سمعت بكاء القمريّ ليلاً.

(١) ديوان الشريف المرتضى، ص ٥٧٩.

(٢) ديوان خلف الأحمر، ص ١٣.

(٣) سبل الهدى والرشاد، ص ٢٨٩.

وتقول فاطمة بنت الأحجم الخزاعية[1]:

وَإِذَا دَعَـتْ قُمِرَيَّـةُ شـجناً لَهـا يَوماً عَلَىْ فَـنَنٍ دَعـوتُ صَـبَاحِي

تقول الشاعرة: إذا ناحت قمرية على غصنٍ وهي تدعو حزنها ليتهيج بكاؤها فإني أشجي لصوتها داعيةً صباحي، أي قائلةً: واصباحاه!

ويقول ابن الرومي[2]:

إنْ تُعلِّـلْ قُمرِيَّـةُ الأُنـس قَلبِـي فَبِمـا راعَـهُ الغـرابُ النَّعُـوبُ

يتساءل الشاعر عن سبب روعة وخوفه من صوت الغراب!! لما استقرّ في نفس الشاعر من أن الغراب نذير شؤم إذا نعب بصوته مع أن صوت القمرية تؤنس قلبه.

ويقول العرجي[3]:

وَأَبكِي مَعْ القُمريِّ ذي الشجو بِالضُّحى إِذا هَتَـفَ القُمـرِيُّ أو بِالأصـائِلِ

ويحكي العرجي عن حاله وما يكابده من هوى وشوق: بأنه يبكي إذا سمع صوت القمري نهاراً أو ليلاً.

ويقول ابن المعتز[4]:

لا تَنـامُ اللَّيـلَ مِـن حُبِّـي وَإِنْ غَرَّدَ القُمـرِيُّ زارتَ فِـي الغَلَـسِ

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، ج١، ص ٥١.

(٢) ديوان ابن الرومي، ص ١٧.

(٣) عبد الله بن عمر العرجي، "حياته وشعره" ص

(٤) ديوان ابن المعتز، ص ٢٥٩.

يصف الشاعر حال محبوبته وأنها: من حبها له لا تنام الليل، وأنها كلما سمعت تغريد القمريّ هاج حُبي في قلبها وزارتني بالليل.

ويقول أيضا(١):

وَسَـــطَ غـــابٍ وَأَيكـــةٍ يَتْغنَّـــى فَـــوقَ أَغْصَـــانِ أَيْكِهـــا القُمـــرِيُّ

يخبر الشاعر عن أماكن القمري التي يتغنى فيها على الأغصان بين الأشجار في وسط الغاب.

ويقول أبو نواس(٢):

فَأبقَاهُ رَبُّ الناسِ مـــا حَـــنَّ والِـــهٌ ومَا فَرفَرَ القُمـــرِيُّ يَومـــاً وَغـــرَّدَا

يدعو الشاعر بطول عمر الممدوح ما دام في الأرض يحن لمحبوبته عاشق، وفرفر القمري بجناحيه وغرّد.

ويقول الصنوبري(٣):

ألا يـــا أيُّهـــا القُمـــرِيُّ كَـــمْ ذَا تُغَـــرِّدُ فِـــي الـــرَّوَاحِ وفي البُكُـــورِ

ويقول أيضا(٤):

سَأبْكِي مَا بَكَـــى القُمـــرِيُّ بِنْتِـــي بِبَحـــرٍ مِـــنْ دُمـــوعِي بَـــلْ بُحـــورِ

البيتان من قصيدة قمت بشرحها في المبحث الأول من الفصل الثاني ص٩٧.

---

(١) المصدر السابق، ص٤٣٤.

(٢) ديوان أبي نواس، ص ١٧٩.

(٣) ديوان الصنوبري، ص ٩٧.

(٤) المصدر السابق، ص ٩٧.

الطيور الجارحة

ومما ذكره العرب في أشعارهم من الطيور: "الصقر".

والصقر هو: طائر من الجوارح، يُستخدم في الصيد، مشهورٌ بحدة البصر، ويُجمع على صقور وأصقُر(١).

يقول زهير بن أبي سُلمى(٢):

يَكُنْ كَالحُبارَى إن أُصيبَت فَمِثلُها ... أُصيبَ وَإِن تُفلِت مِنَ الصَّقرِ تَسلَحِ

في البيت يصف الشاعر من يظلم الناس ويأخذ حقوقهم، وتحاول النجاة من نقمة الناس بحال الحَبارى مع الصقر إذا هجم عليها.

ويقول العباس بن مرداس(٣):

ضِعافُ الطَّيرِ أَطوَلُها جَسوماً ... وَلَمْ تَطُلِ البُزَاةُ ولا الصُّقورُ

في البيت يصف الشاعر بأن العبرة في رباطة الجأش وقوة القلب، لا في طول الجسم وعظمه وأن أضعف الطيور هي العظيمة في حجمها، وأن الصقور والبزاة ليست بعظيمة الحجم ومع ذلك فقد سادت على الطيور.

---

(١) المعجم الوسيط. "الصقر"

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ٢٢١-٢٢٢.

(٣) شرح ديوان الحماسة للتبريزي، ص ٤٦٨.

ويقول المرقش الأكبر[1]:

فـــانقَضَّ مِثْـــلَ الصَّـــقْرِ يَقدُمُـــهُ ... جَـــيْشٌ كغُـــلاَّن الشُـــريفِ لِهَـــمْ

في البيت يصف الشاعر الممدوح في قتاله أعداءه وشدة بأسه عليهم بانقضاض الصقر ويصف جيشه وكثرهم بأشجار الغابة.

ويقول حارثة بن أوس الكلبي[2]:

ذُنَابِىَ حُبارَى أَخَطأَ الصَّـــقْرُ رَأسَـــها ... فَجَادتْ بِمكْنُونٍ مِنْ السَّلْح يَثْعَـــبُ

في البيت يهجو الشاعر رجلاً، ويصفه بالجبن كالحبارى تسلح خوفاً من الصقر عندما أخطأت الرجل رماح الشاعر.

ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه[3]:

أَنا الصَّـــقْرُ الّـــذي حُـــدِّثتَ عَنـــهُ ... عِتَـــاقُ الطَّـــيرِ تَنْجَـــدِل انْجِـــدَالا

في البيت يفخر الشاعر بنفسه ويقول: إنه في القتال مثل الصقر إذا رأته الطيور تنصرع خوفاً ورُعباً منه.

ويقول تميم بن أبي[4]:

فأخْطَلُ إِنْ تَسْمَعْ خَـــوَاتِي تَـــوَقَّني ... كَمَا يَتَّقِي فَرْخُ الحُبَارَى مِنْ الصَّـــقرِ

---

(١) ديوان المرقشين، ص ٧٠.

(٢) كتاب: نثر الدر، ج٢، ص١٣.

(٣) ديوان علي بن أبي طالب، ص٨٦.

(٤) ديوان تميم بن أُبيّ، ص ٩٢.

يُهدد الشاعرُ في هذا البيت الأخطلَ ويقول له: إذا سمعت صوتي وصخبي فتجنبني تجنّب فراخ الحبارى من الصقر.

ويقول أبو العلاء المعري(١):

وَإِنْ لَمْ تَرَ الصَّقْرَ الحَمَامَـــةُ دَهرَهـــا فَمِنْ شِيَمِ الوُرقِ الحِذارُ مِنَ الصَّـــقْرِ

من طبع الحمام الخوف والحذر من الصقر، وإن لم تره في حياتها، فهناك أمور يرجع فيها إلى الطبع ولا يشترط المشاهدة أو التجربة.

ويقول الشريف المرتضى(٢):

يَهوِي إِلَى قَـــنْصِ النُّفـــوسِ كَمَـــا يَهـــوِي إِلَـــى فُرصَـــاتِه الصَّـــقْرُ

يصف الشاعر في هذا البيت قوة وبسالة الممدوح في اقتناص أعدائه في المعركة ويشبهها باقتناص الصقر فرصاته.

ويقول الشريف الرضي(٣):

عَالٍ عَلَى نَظَرِ الأَعْـــدَاءِ يَلحَظُهُـــم لَواحِظَ الصَّقْرِ فَوْقَ الـــمَرْبَأْ العَـــالِي

يصف الشاعر الفارس ونظره إلى أعدائه واقتناصه لهم وملاحظتهم بالصقر وهو في المكان المرتفع يقتنص فرائسه.

(١) ديوان أبي علاء المعرّي، ص ١٢٩.

(٢) ديوان الشريف المرتضى، ص ٨١٣.

(٣) ديوان الشريف المرتضي، ص ٣٤٩.

ويقول طرفة بن العبد[1]:

فَأَمَّا يَومُهُنَّ فَيَومُ نَحسٍ تُطارِدُهُنَّ بِالحَدَبِ الصُّقُورُ

في البيت يصف الشاعر يوم طير الكروان بيوم النحس حين تطارده الصقور في مكان مرتفع.

ويقول جرير[2]:

هُمُ الأَخيارُ مَنسِكَةً وَهَدياً وَفِي الهَيْجَا كَأَنَّهُمُ الصُّقورُ

الشاعر في البيت يمدح قوماً ويصفهم بأنهم خير الناس أخلاقاً وحلماً وفي الحرب كالصقور في القوة والشجاعة.

ويقول البحتري[3]:

بِفَوارِسٍ مِثْلِ الصُّقورِ وَضُمَّرٍ مَجدولَةٍ كَكَواسِرِ العُقبانِ

يصف الشاعر الفرسان في المعركة بالصقور والعقبان الكاسرة في قوتها وسرعة انقضاضها على العدو.

(١) ديوان طرفة بن العبد، ص١٣.

(٢) ديوان ابن جرير، ص ٢٣٠.

(٣) ديوان البحتري، ص ٨٩٠.

ومما ذكره العرب في أشعارهم من الطيور: "النسر".

وطائر النسر هو: طائر من الجوارح، حاد البصر وقوي، وهو من أكبر الطيور حجما، ويُوصف بالجُبْن؛ لأنه يتغذى بالجيف[١].

ويقول الراعي النميري[٢]:

بِمَلْحَمَـــةٍ لا يَسْـــتَقلُّ غُرَابُهـــا دَفيفاً ويُمْسِي الذِّئِبُ فِيها مَعَ النِّســرِ

يُخبر الشاعر عن كثرة القتلى وأن الغراب لا يطير محلِّقاً ولكنه يطير عن قتيل إلى قتيل وفي أكل لحوم القتلى يجتمع الذئب مع النسر.

ويقول أبو فراسل الحمداني[٣]:

وَقَومٌ مَتى مـــا أَلقَهُـــم رَويَ القَنـــا وَأَرضٌ متَى ما أَغزُها شَـــبِعَ النَّسْـــرُ

يفخر الشاعر بقوته وشجاعته وأنه إذا لقي قوماً؛ قام فيهم يقتل ويطعن حتى يرتوي السيف، وان الأرض التي يغزوها يشبع فيها النسر من كثرة ما يترك فيها من جثثٍ وقتلى.

ويقول ابن أبي حصينة[٤]:

إنْ يَصدُقُوا فَسُيُوفُ مَـــنْ تَـــرَكْتُهمُ صَـــرعى تَهُـــزُّهُمُ النُسُـــورُ الحُـــوَّمُ

في البيت يفخر الشاعر بفعله في أعدائه، وأنهم إن صدقوا في القول سيأكدوا من قوله في فعله بهم وأنهم صرعى تأكل أجسادهم النسور.

(١) المعجم الوسيط. "النسر"

(٢) ديوان الراعي النميري، ص ٩٧.

(٣) ديوان أبي فراس الهمداني، ص١٠٣.

(٤) ديوان ابن أبي حصينة، ص١٩٣.

ويقول تأبط شرا[1]:

وإِنْ تَقَـعِ النُّسـورُ عَلَـيَّ يَومـاً ... فَلَحـمُ الـمُعتَفى لَحـمٌ كَـرِيمُ

البيت من قصيدة أنشدها الشاعر مفتخراً؛ يقول: إن قُتلت وأصبح جسدي طعاماً للنسور؛ إنه للحم كريم.

(١) ديوان تأبط شرا، ص٣٤.

ومما ذكره العرب في أشعارهم من الطيور: "العقاب".

وطائر العقاب هو: من كواسر الطير، قوي المخالب، حاد البصر(١).

يقول الأعشى(٢):

كَفَوا إِذْ أَتَى الهامَرزُ تَخفِــقُ فَوْقَــهُ كَظِلِّ العُقــابِ إِذْ هَــوَت فَتَــدلَّتِ

البيت من قصيدة يمدح الشاعر قبيلة بني شيبان حين هزموا الفرس ومنعوا جيش الفرس وقائده الهامرز بن رحمي النعمان بن المنذر ووصف رايات جيش الفرس بظلّ أجنحة العقاب.

وتقول الخنساء(٣):

فَأَتتْ بِــه أَسَــلُ الأسِــنَّةِ ضَــامِرٌ مِثلُ العُقــابِ غَــدَتْ مــع الــوَكْرِ

البيت من قصيدة للشاعرة تحرض فيها قومها على الأخذ بثأر أخيها صخر، وتصف في البيت سرعة الرمح بالعقاب الذي يهب من وكره.

ويقول الشريف الرضي(٤):

أَقبَلنَ مِثْلَ السَّــيْلِ صَــوَّبَ عُنَقــهُ نَشْــزُ العِقــابِ إلى قَــرارِ الــوَادِي

يصف الشاعر في البيت سرعة خيله في حربه ضد أعدائه ويشبه ذلك بهبوط العقاب من عالي السماء.

---

(١) المعجم الوسيط. " العُقاب "

(٢) ديوان الأعشى، ص ٣٢.

(٣) ديوان الخنساء، ص ٢٩.

(٤) ديوان الشريف الرضي، ص ٢٧٤.

ويقول الشنفرى[1]:

أَنَــا السَّــمعُ الأَزَلُّ فــلا أُبــالي   ولو صَــعُبَتْ شَــناخِيبُ العِقــابِ

في البيت يفخر الشاعر بنفسه وأنه قويّ السمع سريع الحركة؛ قالها لقومه عندما أرادوا القبض عليه وقتله عند وروده الماء، وأنه لا يبالي في صبره ومنعه عن الماء.

ويقول المتنبي[2]:

يَهُــزُّ الجَــيشُ حَوْلَــكَ جانِبَيــه   كَمَــا نَفَضَــتْ جَناحَيها العُقــابُ

يصف الشاعر المتنبي سيف الدولة بطائر العقاب ويصف جيشه بجناحي العقاب فكأنه عقاب يُحرك جناحيه وهي صورة فنية جميلة.

ويقول عمرو بن معد يكرب الزبيدي[3]:

ذَرُوني وذَاكَ الفَارِســيَّ فــإنَّني   سأَخطَفُهُ خَطفَ العُقــابِ المُخــالِسِ

في البيت تهديد ووعيد من الشاعر لأحد الأعاجم، ويطلب ممن حوله أن يدعوه ليخطف رأسه كما يخطف العقاب فريسته خطفاً سريعاً.

(١) ديوان الشنفرى، ص ٣٠.

(٢) ديوان المتنبي، ص ٢٧.

(٣) شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي، ص ١٣٤.

ومما ذكره الشعراء في شعرهم من الطيور: "الديك".

يقول ابن المعتز[1]:

قَـــدْ نَعـــا الـــدِّيكُ الظَّلامَـــا فَاسْـــقِنِي الـــرَّاحَ الـــمُدَامَا

يخبر الشاعر بأن الديك أخبرهم بصياحه عن ذهاب الليل، فطلب من الخادم أن يُسقيه الخُمر.

ويقول أبو نواس[2]:

غَـــرَّدَ الـــدِّيكُ الصَّـــدوحُ فَاسْـــقِنِي طَـــابَ الصَّـــبُوحُ

وهنا يخبر أبو نواس عن صياح الديك مُعلناً دخول أول النهار – الصبح – فطلب من الساقي أن يسقيه الخمر فنعم الشرب؛ الشرب في أول النهار.

ويقول أبو نواس أيضاً[3]:

وَكَأْسٍ كَعَيْنِ الدِّيكِ بَاتــتْ تَعُلُّنِــي عَلَى وَجهِ مَعبــودِ الجَمَــالِ رَخــيمِ

في البيت وصف لليلة عاشها الشاعر مع خمرة صافية كعين الديك بات يشرب منها على وجه جميل وحسن.

(١) ديوان ابن المعتز، ص ٣٩٠.

(٢) ديوان أبي نواس، ص ١٤٠.

(٣) ديوان أبي نواس، ص ٤٢٦.

ويقول البحتري[1]:

وَلَمْ نَفْتَرِقْ حَتَّى ثَنَى الدِّيكُ هاتِفــاً   وَقَامَ الــــمُنَادِي بِالصَّــلاةِ يُنــادِي

وهنا البحتري يحكي: أن لقاءً جمع بينه وبين من يُحب ليلاً، ولم يفترقا حتى صاح الديك وقام المؤذن ينادي لصلاة الفجر.

ويقول حماد عجرد[2]:

عُقَارٌ مِثْلُ عَــيْنِ الــدِّيكِ صِــرفٌ   كَــأَنَّ شُــعاعَهَا لَهَــبُ السِّــراجِ

يصف الشاعر الخمر في لونها كعين الديك، خمر خالصة من الشوائب، كأن بارق لونها كلهب السراج في اللمعان.

ويقول عمر بن أبي ربيعة[3]:

ومُـــــدَامٍ عُتِقْــــت في بَابـــــلٍ   مِثْلِ عَيْنِ الــدِّيكِ أو خَمــرِ جَــدَرِ

يخبر الشاعر عن خمر عُتِّقت في العراق، لونها وصفائها كعين الديك، أو أنها عُتِّقَت في بلاد الشام وكانت العرب تُعتق الخمر في الجاهلية بدفنه في التراب سنينا.

(١) ديوان البحتري، ص ٢٠٨.

(٢) الموسوعة الشعرية.

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص ١١٩.

ومما ذكره الشعراء في شعرهم من الطيور: "الدجاجة".

يقول ابن الرومي[1]:

إِنَّمـــا يَقْتنِـــي الدَّجَاجـــةَ دِيـــكُ   بِـــعْ بُنانـــاً فَأَنْـــتَ عَنْهَـــا غَـــنِيٌّ

البيت من قصيدة يهجو فيها الشاعر، وفي البيت يأمره متهكماً ومستهزءاً أن يبيع بناناً – جارية له – لأنه ليس أهلاً أن تكون له جارية.

ويقول الأخطل[2]:

تَرَى العِرمس الوَجْنَاءَ يَضرِبُ حَاذَها   ضَئيلٌ كَفـرُّوجِ الدَّجاجَـةِ مُعجَـلُ

يُخبر الشاعر عن الناقة العظيمة يسوقها رجل ضعيف كساقي الدجاجة وفيه دلالة على مطاوعة هذه الناقة وأصالتها بمعرفة ربَّها.

ويقول إسماعيل بن عمار الأسدي[3]:

وسَـــاقٌ يُخلخِلُهـــا خَـــاتمٌ   كَسَـــاقِ الدَّجَاجَـــةِ أَوْ أَحْمَـــشِ

يصف الشاعر في هذا البيت: ساقاً دقيقة في حجمها؛ حتى إنك لو وضعت خاتماً في هذا الساق لتخللها من شدة دقته، كساق الدجاجة أو أنه أدق منها.

(١) ديوان ابن الرومي، ص ٧١٩.

(٢) ديوان الأخطل، ص ١٤١.

(٣) الموسوعة الشعرية.

ويقول النمر بن تولب[1]:

وَمَا تُغْنِي الدَّجاجُ الضَّـيْفَ عَنِّـي   وَلَـيسَ بِنَـافِعِي إلاَّ نِضَـاجَا

في هذا البيت لا يرى أن الدجاج محلاً لإكرام الضيف، وهو كذلك لن ينتفع بالدجاج إلا في حال نضجه وأكله؛ بمعنى لا فائدة منه سوى الأكل.

ويقول يحيى بن الحكم "الغزال"[2]:

مَـا أَرَى هَهُنـا مِـن النَّـاسِ إلاَّ   ثَعْلَبـاً يَطلُـبُ الـدَّجاجَ وذيبَـا

وهنا يصف الشاعر حال بعض الناس وما أصبحوا فيه من الخيانة وأكل بعضهم حقوق البعض ووصفهم بالذئاب والثعالب التي تختال لتأكل الدجاج.

ويقول رؤبة بن العجاج[3]:

عَـنْ صِـبْيَةٍ كَـأَفرُخِ الـدَّجَاجِ   يا فَضْلُ يـا ابـن الأَنجُـم الأَبْـرَاجِ

في البيت يستجدي الشاعر الممدوح ويطلب منه الإعانة بعطاء، ويصف حال من يعول من أولاده بأنهم صغار يخشى هلاكهم من شدة الجوع والفاقة، وكأنهم فروخ الدجاج من شدة الضعف.

(١) ديوان النمر بن تولب، ص ٥١.

(٢) ديوان يحيى بن الحكم، ص ٣٢.

(٣) ديوان رؤبة بن العجاج، ص ٣٣.

ومما ذكره الشعراء في أشعارهم من الطيور: "القبرة".

والقبرة تعتبر من فصيلة العصافير، شديدة الحذر، وتُعرف بالتغريد في الحقول، وتُجمع على: قبرات(١).

يقول أبو العلاء المعري(٢):

وَاجَهــتَ قُبْــرَةً فَخِفْــتَ تَطَيُّــرًا   مَــا كُــلُّ مَيْــتٍ لا أَبالَــك يُقْبَــرُ

في البيت يُعاتب أبو العلاء كل من يتطير ويخاف من القبرة، ويقول ما كل الأموات تُقبر وتدفن، فما تطيرك بالقبرة سيضمن لك موتك على فراشك.

ويقول طرفه بن العبد(٣):

يَــا لَــكِ مِــنْ قُبَّــرَةٍ بِمَعمَــرِ   خَلالَكِ الجــوُّ فَبيضِــي وَاصْــفِري

قَدْ رُفِــعَ الفّــخُّ فمــاذا تَحــذَرِي   وَنَقِّــري مَــا شِــئتِ أَنْ تُنقَّــري

قَدْ ذَهَبَ الصَّيَّادُ عَنْــكِ فَابشِــري   لابُدَّ يَومــاً أَنْ تُصــادِي فاصْــبِري

صفوة هذا المبحث وخُلاصته:

مما سبق عرضه ومناقشته وتفصيله؛ تتضح مكانة الطير، وحضوره الواضح البيِّن في الشعر العربي، وإن كان هناك تفاوت في ذكر بعض أنواع الطيور في الحقبة الزمنية – قيد دراسة البحث الحالي–، وكيف أن الشاعر العربي كان يذكر الطير في شعره، ويستأنس به ويخاطبه ويناجيه في صور فنية جميلة..........

---

(١) المعجم الوسيط. " القبرة "

(٢) ديوان أبي العلاء المعري، ص٢٤٨.

(٣) ديوان طرفة بن العبد، ص ١٢.

المبحث الثاني

الطير والمعتقدات الأسطورية عند العرب

الأساطير: جمع أسطورة وأسطيرة وإسطارة.

وهى: الأباطيل والأحاديث العجيبة(١).

وقيل هي: الأباطيل والأحاديث التي لا نظام لها(٢).

واستخدمت كلمة الأساطير في القرآن الكريم بمعنى الأحاديث الموروثة من القدماء، يقول الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾(٣).

أي: ما سطروا من أعاجيب الأحاديث وكذبها. وفى هذا إشارة واضحة بأن المشركين العرب في زمن (النبيّ صلى الله عليه وسلم) كانوا يعلمون بأن هناك تراثاً "مسطوراً" وضعه الأولون، ويبدو أنهم يحتفظون في أذهانهم ببعض معالمه.

والعرب كانت تعرف وتروى الكثير من الأساطير في مختلف المجالات (الدينية – والبيئية– والحضارية).

---

(١) المعجم الوسيط.

(٢) لسان العرب. مادة: سطر.

(٣) سورة الأنفال: آية رقم ٣١ –٣٢

ومن هذه الأساطير- نذكر بعضها إجمالاً دون التفصيل فيها-؛ إذ ليست الغاية من بحثنا:

١- جز ناصية الفرس؛ حيث إن الشعر مكمن القوة في نظر العرب آنذاك.

٢- أسطورة إساف ونائلة. وهما صنمان بمكة.

٣- أسطورة زرقاء اليمامة: وهى الكاهنة التي كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام[١].

٤- أسطورة أن الجنَّ تركب الثيران؛ فتصد البقر عن الشرب؛ فإذا أرادوا أن تشرب البقر كان لابد لهم من ضرب "الثور" الذي يركبه الجني.

قال أنس بن مُدركة في قتله الصعلوك السُليك بن السلكة:

إِنِّي وَقَتْلِي سُلَيْكاً ثُمَّ أَعْقِلهُ كَالثَّورِ يُضْرَبُ لَمَّا عَافَت البَقَرُ

٥- كي الجمل السليم وترك الجمال التي بها الداء[٢]، وغيرها من الأساطير التي نقلت عن العرب.

(١) خزانة الأدب، البغدادي، ٢ / ٤٦٤

(٢) خزانة الأدب، البغدادي، ٢ / ٤٦٤

الطير والأساطير:

وللطير حضور قوي في كثير من الأساطير عند العرب؛ لما يتميز به الطير من خصوصية دون سائر الحيوانات، ومن هذه الأساطير التي ارتبطت بالطير:

- **أسطورة "الصدى أو الهامة"**[١].

زعموا أن الصدى وهو: ذكر البوم[٢] يسكن القبور، وقالوا: هو طائر يقال له: "الهامة "زعموا أنه يخرج من رأس القتيل إذا لم يؤخذ بثأره، فيقول: اسقوني اسقوني حتى يؤخذ بثأره.

وفي مثل هذا يقول ذو الأصبع العدواني[٣]:

يا عَمرُو إِنْ لاَ تَدَعْ شَتْمِي وَمَنقصَتِي أَضْرِبُك حَيْثُ تَقولُ الهَامةُ: اسْــقُونِي

في البيت يهدد الشاعر عمراً بقتله إن لم يكف عن سبّه وشتمه، حتى تجعل الهامة تصيح على قبره تطلب الثأر له.

- **أسطورة التعقية:**

جاء في كتاب **"خزانة الأدب"** التعقية: سهم الاعتذار. وقيل: العقيقة[٤].

قال ابن الأعرابي: أصل هذا أن يقتل الرجلُ رجلاً من قبيلته؛ فيُطلب القاتل بدمه، فتجتمع جماعة من الرؤساء إلى أولياء المقتول بدية مكملة، ويسألونهم العفو

(١) خزانة الأدب، البغدادي، ٣ / ٣١٦

(٢) لسان العرب لابن منظور. "هوم"

(٣) خزانة الأدب للبغدادي، ج٧، ص١٨٤.

(٤) لأنه عق بالسهم إذ رُمي به نحو السماء. وذلك السهم يُسمى عقيقة.

وقبول الدية، فإن كان أولياؤه ذووا قوة أبو ذلك، وإلاَّ قالوا لهم: بيننا وبين خالقنا علامةٌ للأمر والنهي؛ فيقول الآخرون. ما علامتكم؟ فيقولون: أن نأخذ سهمًا فنرمي به نحو السماء؛ فإن رجع إلينا مضرجاً بالدَّم؛ فقد نُهينا عن أخذ الدِّية، وإن رجع كما صعد فقد أمرنا بأخذها.

وحينئذٍ يمسحوا لحاهم ويصالحوا على الدية "وكان مسح اللحية علامة للصلح".

وقال ابن الأعرابي: ما رجع ذلك السهم قط إلاَّ نقيا. ولكنهم يعتذرون به عند الجهال.

وفي هذا يقول الأسعر الجعفي:

عَقُّوا بِسَـــهْمٍ ثُـــمَّ قَـــالوا سَـــالِمُوا   يا لَيتَني فِي القَومِ إذا مَسَحوا اللِّحـــى

وكان الذي يرضي بالدية ينظر إليه نظرة ضعف وذل، قال قائلهم يهجو من أخذ الدية من **الإبل**:

وإِنَّ الـــذِي أَصْـــبَحتُم تَحْلِبُونَـــهُ   دَمٌ غَيْرَ أَنَّ اللَّـــونَ لَـــيْسَ بأشْـــقَرَا

في البيت يهجو الشاعر من رضي بأخذ الدية على الأخذ بالثأر، ويقول: إن الذي تحلبونه من غنم الدية ما هو إلا دم قتيلكم الذي لم تأخذوا بثأره.

أسطورة ظلمة القبر بقبول الدية:

وكان العرب يزعمون أن القتيل إذا ثأروا له أضاء قبره، فإن أُهدر دمه أو قُبلت ديته بقي قبره مظلماً[1].

ورُوي أن بني مازن قتلوا عبد الله أخا عمرو بن معد يكرب الزبيدي، ثم جاؤوا إلى "عمرو" فقالوا: إن أخاك قتله رجل منا سفيه وهو سكران، ونحن يدك وعضدك فنسألك بالرحم إلا أخذت منا الدية ما أحببت، فهم عمرو بذلك.

فبلغ ذلك أختا لعمرو يُقال لها "**كبشة** "؛ فغضبت، فلما وافى الناسُ الموسم قالت:

وأرسلَ عبــدُ الله إذْ حَــانَ يومُــه ... إِلَى قومِهِ أنْ لا تحلُّــوا لَهــم دَمِــي

ولا تَأخُذوا مِــنْهُمْ إفــالاً وأبْكُــرًا ... وأُتْــركُ في بيــتٍ بِصَــعْدَةَ مُظْلِــمِ

فــإنْ أنــتم لم تقتلــوا واتــديتمُ ... فَمَشُّــوا بــآذانِ النَّعــامِ المُصَــلَّمِ

ودعْ عَنْكَ عَمرًا إنَّ عَمراً مُســالِمٌ ... وهلْ بطنُ عَمرو غَيرُ شِبرٍ لِمَطْعَــمِ[2]

ففي الأبيات تؤمن كبشه أن أخاها القتيل إذا قبلت ديته سيكون قبره مظلما، وأخذت تحض قومها على إدراك الثأر، وتزعم أن أخاها عبد الله قد أرسل يُخبر عما آل إليه أمره وتقول: إن قومها إذ قبلوا الدية ولم يقتلوا بقتيلهم قتيلا، فإن أخاهم سيكون قبره مظلما وأن عليهم بعد ذلك إن يمشوا أذلاء بآذان مصلمة كآذان النعام،

(١) خزانة الأدب، البغدادي، ٦ / ٣٥٦.

(٢) خزانة الأدب، البغدادي، ٦ / ٣٥٧.

بل ليس لهم بعد قبول الدية إلا أن يشربوا فضول نسائهم وهن حيض حيث قالت بعد الأبيات السابقة:

ولا تَــردُوا إلاّ فُضُــولَ نِســائِكمْ   إذا ارتَملَــتْ أعقــابُهنَّ مِــنَ الــدَّمِ

ولعل موقف الشاعرة كبشه يكشف عن الواقع الاجتماعي الجاهلي في موقفهم تجاه أخذ الدية أكثر مما يعبر عن هذه الرؤية الأسطورية، إذ إن القلة من العرب في الجاهلية كانوا يرضون بأخذ الدية على الأخذ بالثأر وهم الضعفاء لا الأقوياء.

وقد تُذكر الهامة في الشعر لا على أنها المُحرض للأخذ بالثأر وحسب، بل قد تذكر لغير ذلك، ومثل ذلك الذي جاء في رثاء أبي ذؤيب الهذلي لابن عمه: "نشيبة" المقتول[1]:

فإن تُمسِ في رَمْسٍ بِرَهْــوةَ ثَاوِيَــا   أنيسُــكَ أصــداءُ القُبُــورِ تَصِــيحُ

عَلَى الكُرْهِ مِنّي ما أُكفكِــفُ عــبرةً   ولكــنْ أُخلِّــي سِــرْبَها فَتَسِــيحُ

فمالــكَ جــيرانٌ ومالــك ناصــرٌ   ولا لُطــفٌ يَبْكِــي عَلَيْــكَ نَصِــيحُ

وإنَّ دُمــوعِي إِثْــرَهُ لَكــثيرةٌ   لَــوْ أَنَّ الــدُّموعَ والــزفيرَ يُــرِيحُ

فوالله لا أَنْسَــى ابْــنَ عَــمٍ كَأَنَّــه   نَشِــيبةٌ مــا دَامَ الحَمَــامُ يَنُــوحُ

ونحن نرى في هذا النص أن مدلول الصدى **"الهامة"** تختلف عن مدلولها في الأسطورة، إذْ استخدمها لتؤنس ابن عمه القتيل، لإحساسه بالحزن والعجز والحسرة عن الثأر لابن عمه، فقد قل المساعد وعز النصر... فماذا يملك غير البكاء؟.

(١) ديوان الهذليين، القسم الأول، ص: ١١٦.

وقد يأتي ذكر الهامة وعطشها للدم في سياق الوعيد والتهديد بالموت لا على الحقيقة، يقول ذو الإصبع العدواني لابن عمه[1].

ولي ابنَ عمٍّ على ما كان من خُلُــقٍ مختلفـــان فاقليـــه ويَقلِـــيني

فإنْ تُردْ عَرضَ الــدُّنيا بِمنقَصــتِي فإنَّ ذلك مــمَّا لــيس يُشــجِيني

لولا أواصرُ قُربى لســتَ تحفظُهــا ورهبــةُ الله في مــولىً يُعــادِيني

إذنْ بريتُكَ بريــاً لا انْجِبــار لــه إنِّــي رأيتُــكَ لا تَنْفــكَّ تَــبرِيني

ماذا عليّ وإن كنــتم ذوي رَحِمــي ألاّ أُحــبُّكم إنْ لم تُحبِّــوني

يا عمرو إنْ لا تدعْ شَتْمِي ومنقَصَتِي أضرِبْك حيثُ تقولُ الهامةُ اســقوني

نرى من خلال هذه الأبيات السابقة أن الشاعر قد ضاق ذرعا بابن عمه وأقاويله فيه فلجأ إلى الوعيد والتهديد بالقتل، والشاعر قد ذكر الهامة كما أسلفنا للتهديد والتخويف ولم يرد ما بعد القتل من مطالبة هذه الهامة بالسقيا أو الثأر والانتقام؛ لأنه لو أراد ذلك لكان المعني بأخذ الثأر منه فوراء ابن عمه من يُطالب بثأره، ويأبي إلا إدراك الوتر ولأنه ذكر أنه يمنعه من الخوف من الله وحرمة القرابة التي بينهما وأنه يحفظها من أن يقتل ابن عمه.

(١) خزانة الأدب، البغدادي. ج٧ / ١٨٤.

ومن أساطير العرب المتعلقة بالطير السوانح والبوارح:

السوانح: جمع سانح وهو ما أتاك عن اليمين "يمينك ".

والبوارح جمع بارح وهو ما أتاك عن اليسار "يسارك"(١).

وأصل ذلك أن العرب إذا أراود الخروج للسفر أو التجارة أو غير ذلك، كانوا يقومون بزجر الطيور وإثارتها، فما تيامن منها وأخذت ذات اليمين سموه: "سانحا"، وما تياسر منها سموه: "بارحا"، فإذا كان الطير سانحا تفاءلوا به ومضوا في أمرهم، وإن كان بارحا تشاءموا منه ورجعوا عن ما عزموا عليه من الخروج.

يقول أبو ذؤيب الهذلي(٢):

أَرِبــــــتُ لإربَتِـــــهِ فـــــانطلق   تُ أُزجِي لِلحُـــبِّ اللِّقـــاءَ سَـــنِيحَا

في البيت يخبر الشاعر عن سعيه لسعي حبيبه؛ فأخذ يسوق للقائه الفأل الحسن.

قال ابن منظور يقول ابن بري(٣):

والعرب تختلف في العيافة، يعني في التيمن بالسانح، والتشاؤم بالبارح؛ فأهل نجد يتيمنون بالسانح. يقول ذو الرمة(٤). - وهو نجدي -.

خَلِيلَـــيَّ لا لاقيتُمَـــا مَـــا حييتُمَـــا   مِنَ الطِّيْرِ إلاّ السَـــانِحَاتِ وَأسْـــعَدَا

في البيت يدعو الشاعر لصديقيه بأن لا يريا في حياتهما إلا الخير والسعادة ورمز لذلك بالطيور السوانح.

---

(١) لسان العرب. مادة "سنح".

(٢) شرح أشعار الهذليين، ج١ ، ص١٩٦.

(٣) لسان العرب. مادة "سنح".

(٤) ديوان ذي الرمة، ص ١٣١.

وقال النابغة الذبياني،- وهو نجديٌّ - يتشاءم بالبارح[1]:

زَعَمَ البَــوارِحُ أَنَّ رِحْلَتَنــا غَــداً   وبذاك تَنْعَــابُ الغُــرابُ الأســودُ

لا مرحبـــاً بغــــد ولا أهــــلا بـــــه   إن كان تفريـــق الأحبـــة في غـــدِ[2]

رأى الشاعر في الطيور البوارح شؤماً بفراقه عن أهله وأحبابه، وأخذ يصيح بذلك الغراب الأسود، ثم أخذ يذم اليوم الذي يكون فيه فراق الأحبة.

وأهل الحجاز على الضِد من أهل نجد؛ فهم يتشاءمون بالسانح، يقول كُثير عزة - وهو حجازي - ممن يتشاءم بالسانح[3]:

أَقولُ إِذَا مَا الطيرُ مَــرَّتْ مُخِيفَـــةً   سَـــوانِحُهَا تَجْـــرِي وَلاَ أَسْـــتَثِيرُها

حينما يرى الشاعر الطير وهي تطير في جهة اليمين؛ يفزع لذلك ولا يقرب لها أو يعترضها؛ لأنه يرى في طيرانها جهة اليمين شؤماً.

فهذا هو الأصل، ثم قد يستعمل النجدي لغة الحجازيِّ؛ فمن ذلك قول عمرو بن قميئة، وهو نجديٌّ[4]:

فَبِينِي عَلَى طَيْـــرٍ سَـــنَيحٍ فُحوسَـــه   وَأَشـــأَمُ طَـــيرِ الزَّاجِـــرِينَ سَـــنِيحُها

الشاعر في البيت يتشاءم بالسانح من الطير على غير عادة قومه.

---

(١) ديوان النابغة الذبياني، ص ٢١.

(٢) في الشطر الثاني من البيت الثاني " إقواء ".

(٣) ديوان كثيّر عزة، ص ١٧٤.

(٤) لسان العرب، مادة "سنح".

ويندرج تحت هذه الأسطورة: "السوانح والبوارح" ما يُسمى: "الطيرة والتطير" والتطير مأخوذ من "الطيرة": وهذه الطيرة مأخوذة أصلاً من الطير، حيث كان أهل الجاهلية يعتقدون في الطير، فكان الواحد منهم إذا أراد الزواج أو التجارة أو السفر لأمر ما: كان ينظر في الطير حين يزجره؛ فإن ذهب يميناً تيمن ، وقال: هذا من البركة ومضى في أمره، وإن ذهب شمالا تشاءم؛ وأوقفه ذلك عن المُضي في أمره.

والطيرة: مصدر من تطيَّر أي: تشاءم

يقول الأعشى[1]:

تَلافاهُما بِشرٌ مِنْ الـمَوتِ بَعـدَما ... جَرَتْ لَهما طـيرُ النُّحـوسِ بأشـأمِ

ويقول أبو ذؤيب الهذلي[2]:

زَجَرتُ لَهم طيرُ الشَّمَالِ فَإنْ تَكُـنْ ... هَوَاكَ الذِي تَهْوَى يُصيبُكَ اجْتِنَابُهـا

ويقول المقنع الكندي[3]:

وإن زجروا طـيراً بـنحس تمـرُّ بي ... زجرتُ لهم طيراً تمـرُ بهـم سـعدا

في البيت يخبر الشاعر عن مكانة قومه لديه، وأنهم لو زجروا الطير له بالشؤم والنحس؛ زجره لهم بما يجلب لهم السعادة والفرح.

نلاحظ في الأبيات السابقة على اختلاف عصور قائلها: الجاهلي الإسلامي والأموي فنجد أن في العرب أقواماً يتشاءمون بالطير ويتيامنون به.

---

(١) ديوان الأعشى، ص ١٦٧.

(٢) شرح أشعار الهذليين، ج١، ص٤٢.

(٣) حماسة البحتري، ص ٢٤٠.

وبناءً على استجلاء الشر والخير الذي ينتظره الرجل عند زجره الطير؛ نبعت فكرة التشاؤم والتفاؤل، وقد صنفوا الطير إلى صنفين:

أ- صنف قبيح يُوحي بالشؤم.

ب- صنف جميل يُوحي بالفأل.

والعرب لم تتطير وتتشاءم كما تطيرت وتشاءمت من طائر الغراب "غراب البين"، ومن قرأ كتاب: لسان العرب: مادة غرب؛ وجد أن ألفاظ هذه المادة مما كانت تتحدث به العرب لا يُبشر بخير عندهم ولا يحبونه؛ فمنه: المُغترب عن الأهل والأوطان، ومنه: الغريب، ومنه: أغرب(١)، ولأن طائر الغراب كان لا يدخل المساكن والبيوت إلا إذا بان أهلها عنها وخرجوا منها(٢)، وكذلك لونه الشاحب بالسواد جعله عند العرب نذير شؤم؛ فهو إذن عندهم المُقدَّم في الشؤم.

رأى السمهري العُكلي غراباً على بانةٍ ينتف ريشه فأنشد يقول(٣):

رَأيتُ غُراباً سَاقطاً فَوقَ بَانةٍ ... يُنسنسُ أعلىَ رِيشِه ويُطايرُه

فَقَال: غُرابٌ باغْتِراب مِنْ النَّوى ... وبالبَانِ بَيْنٌ مِنْ حَبِيبٍ تُحَاذِرُه

وأضاف الجاحظ نوعا للغراب وهو: غراب الليل الذي يُشبه البوم، والذي قال عنه: "هو الذي ترك أخلاق الغربان، وتشبه بأخلاق البوم"(٤)

(١) لسان العرب. مادة غرب

(٢) في المبحث الأول ذكرت هذه التفاصيل وغيرها عندما ذكرت أنواع الطيور

(٣) الموسوعة الشعرية.

(٤) الحيوان للجاحظ ج ١ ص: ١٨٤

وبعض الشعراء يتشاءم بالغراب بكل أحواله، فكيف بغراب ويطير عن شماله؟!

فهذا قيس بن ذُريح نراه متشائماً من الغراب بكل أحواله، فكيف به وقد رآه يطير عن شماله كلما ذكر لُبنى أنشد قائلاً[1]:

ألا يا غُرابَ البَـيْنِ مَالَـكَ كُلّمـا ... ذَكرتُ لُبنى طِرْتَ لي عَـنْ شِـمَالِيا
أَعِنْدَكَ عِلمُ الغَيْبِ أَمْ لَسْتَ مُخْبِرِي ... عَـنِ الحَـيِّ إِلاَّ بالـذي بَـدا لِيـا
فلا حَمَلَتْ رِجْلاكَ عُشّـاً لِبَيضـةٍ ... ولا زَالَ عَظْمٌ مِنْ جناحِـك وَاهِيـا

فنحن نراه في الأبيات من شدة شؤمه من الغراب حين طار عن شماله عند ذكر لبنى يدعو عليه بتكسير رجليه وأن تُشل، وأن يضعف جناحاه عن الطيران.

وهذا عنترة بن شدَّاد عندما فارق أحبته، وصاح الغراب يُخبره ببينهم، قام بزجره وطرده من عشه حتى لا يفرِّخ فيها، ولا يتكاثر؛ فيصيح وحده حتى يهلك ولا يُفجع أحداً بنعيقه.

يقول عنترة[2]:

ظَعَـنَ الـذين فِـراقُهم أتوقـعُ ... وجَـرَى بِبَيْـنِهم الغـرابُ الأبقـعُ
فَزجرتُـه ألاَّ يُفـرِّخ عُشـه ... أبـداً ويُصـبح واحـداً يتفجَّـعُ
إنَّ الـذين نعيـتَ لِـي بِفـرَاقِهم ... هم أسهروا لَيْلَي التَّمَـامِ فَـأوجعُوا

(١) ديوان قيس بن ذريح، ص ١٢٢.
(٢) ديوان عنترة، ص ٥٧.

ويقول قيس بن الملوح[1]:

أَلا يا غُرابَ البَيْنِ إنْ كُنتَ هابِطــاً بِلاداً لِلَيْلَــى فــالتَمِس أَنْ تُكلِّمَــا

وَبلِّــغ تحيَّــاتِي إليهــا وصَــبوَتِي وكُنْ بَعدَها عَنْ سَائِرِ الناسِ أَعْجَمَــا

فالغراب لما كان نذير شؤم عندهم، ومذكر لهم ببين الأحبة وفراقهم من ديارهم، نجد بعض الشعراء قد اتخذه رسولاً إلى محبوبته – على خِلاف النظرة السائدة للغراب – يُبلغها بحبه لها ولوعته وشدة حزنه من فراقها...، فقيس بن الملوح يخاطب الغراب ويطلب منه إن وجد أرض وبلاد ليلى أن يُبْلَغها حاله وسلامه لها ومعاناته لفراقها.

وبعضهم يأتي بصور جميلة ذُكر فيها الغراب وسواده حتى وإن كانت في الهجاء، فنحن ننظر إلى الصورة فنراها من الجمال والطرافة بمكان، فهذا العباس بن يزيد الكندي يقول[2]:

لَو أطَّلَــعَ الغُــرَابُ عَلَــى تَمِــيمٍ وَمَا فِيهــا مِــن السَّــوْءَات شَــابَا

فهو في هذا البيت يهجو بني تميم ويُعرض بعيوبهم بأسلوب ساحر باعث على الطرافة؛ وهو: أن الغراب الأسود في لونه لو رأى تلك العيوب التي في قبيلة بني تميم؛ لتغير لونه من السواد إلى البياض من شدة ما يرى من سوءاتهم وعيوبهم.

(١) ديوان قيس بن الملوح، ص ١٩٨- ١٩٩.

(٢) ربيع الأبرار، الزمخشري، ج ١. ص: ١٧٠

وقد يكون التشاؤم بالغراب تفاؤلاً في الوقت عينه إذا جرى بين الأعداء، فهذا ما نجده في شعر "عبد الله بن الزِّبعري " **يوم أُحد** "- وكان على الشرك يومئذ- حيث يقول[1]:

يا غُـراَبَ البَـيْنِ أَسَـمِعْتَ فقـلْ إنَّمَـا تَنْطِـقُ شَـيْئاً قَـدْ فُعِـل

لَيْـتَ أَشْـيَاخِي بِبَـدرٍ شَـهْدُوا جزَعَ الـخَزْرِجِ مِنْ وَقْـعِ الأَسِـلْ

إذْ أَخَذْنَا النِّصْـفَ مِـنْ سَـادَتِهِم وَعَـدْلَنا مِيْـلَ بَـدرٍ فاعْتَـدَل

كَـمْ قَتْلنَـا مِـنْ كَـرِيمٍ سَـيِّدٍ مَاجِـدِ الحَـدَّيْنِ مِقْـدَامٍ بَطَـلْ

"فابن الزِّبعري" يُعلن غبطته وحبوره لمصاب المسلمين "يوم أحد" كما يُلعن شماتته بهم، وتمنَّى لو أن قتلى المشركين في بدر كانوا أحياءً ليروا ما حلَّ بالمسلمين، فقد انتصف المشركون من سادة المسلمين؛ وبذلك اعتدل الميزان بينهما بعد أن مال يوم بدر، فالشاعر يسمع الغراب فيرى فيه نذير فآل له ولقومه، وبالتالي فهو نذير شؤم لأعدائه، فيسره ما يسمع، ولذا يدعوا الغراب إلى الاستمرار في النعيب.

وقد يذكر العربي الغراب متشائماً منه إذا رأى قوماً لا مكانة لهم عنده لعداوة وغير ذلك فهذا أبو المورق اللحياني الهذلي يقول[2]:

إِذَا نَزَلَـتْ بَنـو لَيْـثٍ عُكَاظـاً رَأَيْـتَ عَلَـى رُؤوسِـهِمُ الغُرَابَـا

(١) شعر عبد الله بن الزَّبعرى، ص ٤١-٤٢.

(٢) الطير في الشعر الجاهلي. بحر القادر الرباعي.ص:١١٧

فالشاعر لا يرى غراباً على رؤوس بني ليث؛ ولكنه أراد أن يُعبِّر عن تشاؤمه بقدومهم.

وقد يرى بعض العرب في الغراب فألا حسناً، فبشرا نجد لنذير شؤم، كما يقول الجاحظ(١).

فهذا أبو عبيد الله بن قيس المرقبان يقول(٢):

بَشَّرَ الظَّـبيُ وَالغُـرابُ بِسُـعدَى مَرْحَبـاً بالـذي يَقـولُ الغُـرابُ

(١) الحيوان. الجاحظ: ج١ ص: ٢٨٣-٢٨٤ بتصرف

(٢) الأغاني، ج ١٧، ص٢٧٢.

ومن الطيور التي تطير بها وتشاءم بها العرب طائر الصُرَد:

وهو طائر فوق العصفور(١) وهو ضخم الرأس تشاءموا من صياحه ولونه ومن اسم صوته التصريد وهو: التقليل.

يقول عدي بن زيد(٢):

دَعا صُرَدُ يَوماً عَلَى عُودِ شَـــوْحطٍ وَصَاحَ بِذَاتِ البَـــيْنِ مِنْهَـــا غُرابُهـــا

فقلتُ أَتَصْرِيدٌ وشُـــحَطٌ وغُربـــةٌ؟ فهـــذا لَعَمـــرِي نَأيُها واغتِرَابُهـــا

في البيتين يُقسم الشاعر بحلول الغربة والبعد والفراق؛ عندما سمع صوت الصرد مع صوت نعيق الغراب؛ فرأى في اجتماع صوتيهما تأكيد الفراق.

(١) لسان العرب. لابن منظور. مادة: صرد.

(٢) ديوان عدي بن زيد، ص ٤٥.

ومن الطيور التي تطير وتشاءم بها العرب طائر: البوم.

جاء في لسان العرب[1] البوم: ذكر الهام، واحدته بومة، والجمع على: أبوام.

قال ذو الرمة[2]:

وأَعضَفَ قَـدْ غَادرتُـه وادَّرَعتُـه ... بِمستنبَحِ الأَبـوامِ جَـمٌّ العَـوزِافِ

ويقول رؤُبة بن العجاج[3]:

هَاجَكَ مِن أَرْوَى كَـرَسِّ الأَسْـقَام ... وَمَـترلٌ بـالٍ كَخَـطِّ الأَقْـلاَم

بَيْنَ البَيَادِي مِنْ صَـدَاها الـهَيَّامْ ... مِنْ صَـائِحِ الهـامِ وبُـومِ الأبـوامِ

وكانت العرب تنظر إلى البوم على أنه طائر الشؤم فتتشاءم به وتنفر من صوته.

وقد ُروي أن الخليفة العباسي المأمون، أشرف يوما من قصره فرأى رجلاً قائما وبيده فحمه يكتب بها على حائط القصر، فقال المأمون لبعض خدمه اذهب إلى ذلك الرجل وانظر ما يكتب وائتني به، فبادر الخادمُ إلى الرجل مُسرعا، وقبض عليه، وقرأ ما كتب الرجل، فإذا هو قد كتب:

يا قصرُ جُمِعَ فَيك الشـؤمَ واللـؤمُ ... مَتَـى يُعشـشُ في أركانِـكَ البُـومُ

يَوْمَ يُعششُ فِيكَ البومُ من فَرحِـي ... أَكُـونُ أوّل مَـنْ يَنعِيـكَ مَرغـومُ

---

(١) لسان العرب لابن منظور. مادة بوم

(٢) ديوان ذي الرمة، ص ٢٤٦.

(٣) ديوان رؤبة بن العجاج، ص ١٣٦.

ولما مثل بين يدي المأمون قال له: ويلك ما حملك على هذا؟!!

فقال مررتُ على هذا القصر العامر، وأنا جائع، فقلت في نفسي: لو كان خراباً لم أعدم منه رخامه أو خشبة أو مسماراً أبيعه وأتقوت بثمنه، فأمر له المأمون بألف دينار يأخذها كل عام مادام القصر عامراً بأهله[1].

وهذا الشافعي عندما كبُر سنه، وأخذ الشيب يعلو شعره، أخذ يُخاطب البومة والتي يري كأنها عششت فوق رأسه، عندما رأى طلائع الشيب في شعره تظهر، وأن هذا الشيب مؤذنٌ بانقضاء العمر ونهايته...... وأنشد قائلاً[2]:

أيا بومة قد عشّشت فَـــوقَ هـــامتِي	**عَلَى الرُّغمِ مِنِّى حينَ طَـــار غُرابُهـــا**
رأيتِ خَرابَ العُمر مِنِّـــى فَزُرتَنِـــي	**ومَأْوَاكَ مِنْ كُـــلِّ الـــديارِ خَرابُهـــا**
أأنعمُ عَيْشَاً بَعْدَ ما حـــلَّ عَارِضِـــي	**طلائعُ شيبٍ لـــيس يُغـــني خِضـــابُها**

(١) إعلام الناس بما وقع للبرامكة، ج١، ص ٩٨.

(٢) ديوان الشافعي، ص ١٦.

عقلاء العرب في الجاهلية ينكرون التشاؤم والطير:

على ما ذُكر سابقاً من تشاؤم العرب وتطيرهم بالطير وغيره، فإنهم لم يكونوا كلهم على هذا المُعتقد، إذْ كان في الجاهلية عقلاء يُنكرون هذا الأمر، ويعيبون فعل من يتشاءم ويتطير، وممن ذمَّ التطير والتشاؤم الشاعر الجاهلي: زبان بن سيار الفزاري حيث يقول(١):

تَخبَّـــر طيْـــرَهُ فيهـــا زيـــادٌ ... لِتخــــبرُهُ وَمَــــا فِيهـــا خَـــبيرُ

تَعْلـــــم أَنَّـــــه لا طيْـــــرَ إلاّ ... عَلَـــى مُتطيِّـــرٍ وَهُـــو الثُّبُـــورُ

بَلَى شَـــيءٌ يُوافِـــقُ بعــضَ شـــيءٍ ... أَحايينـــــاً وباطِلُـــــه كـــــثيرُ

في الأبيات ينكر الشاعر على زياد طلبه الرأي والخير من الطير بزجره، ويقول: ما هي إلا موافقات في بعض الأحايين وأكثرها باطل.

ويقول لبيد بن ربيعة(٢):

لعمرُك ما تَدري الضَّوَارِبُ بالحَصَى ... ولا زَاجِرَاتُ الطيرِ مــا اللهُ صــانعُ

سَلوهنَّ إنْ كَذَّبتُمُونِي مَتَـــى الفـــتى ... يَذوقُ المَنَايا أو مَتَى الغيـــثُ وَاقِـــعُ؟

في البيتين يقسم الشاعر بأن من تضرب بالحجر من الكاهنات ومن يزجر الطير لِيُكشف له الغيب؛ غير صادق فيما يدعونه، ويُدلِّل لقوله بأن يُمتحنوا بسؤالهما عن موعد آجال الناس وموتها، أو عن نزول الغيث متى يكون.

---

(١) المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام، ج١٢، ص ٣٧٧.

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة، ص ١٧٢.

ومن هؤلاء العقلاء الذين ينكرون التطير والتشاؤم الحارث بن حلزه حيث يقول(1):

يـــا أيهـــا المُزمـــع ثم انـــثنى   لا بثنيـــك الحـــازي ولا الشـــاحِج

ولا قعيـــدٌ أغضَـــبَ قَرْنَـــه   هَـــاجَ لَـــهُ مِـــنْ مَرْتَـــعٍ هَـــائِجِ

في البيتين ينهى الشاعر عن الطيرة والتشاؤم، وينصح من أراد العزم على أمر من سفر وغيره ألا يعلق أمره بها.

ويقول ضابئ البُرجمي(2):

وما عَاجِلاتُ الطير تُدني مِنَ الفَتَـــى   رَشَـــاداً ولا عـــن رَيْـــثِهن يَخِيـــبُ

في البيت إشارة بأن الطيرة لا تقدم للإنسان خيراً ولا تدفع عنه شراً.

---

(1) ديوان الحارث بن حلِّزة، ص ٦٤.

(2) الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ص ٣٠٤.

ومن هؤلاء الذين ينكرون التطير والتشاؤم: المرقش الأكبر:

حيث قال[(١)]:

لا يَمنَعُـــــكَ مِـــــنْ بُغـــــاءِ	**الخَـــــيرِ تَعقَـــــاد التمَـــــائِمْ**
ولا التشـــــاؤمُ بالعُطَـــــاسِ	**ولا التَّـــــيَمُّن بِالمقَاسِـــــمْ**
ولَقَـــــدْ غَـــــدوتُ وكُنْـــــتُ لا	**أَغْـــــدوا عَلَـــــى وَاقٍ وَحَـــــاتِمْ**
فَـــــإِذا الأَشَـــــائِم كالأَيـــــا	**مِـــــنِ والأَيَـــــامنُ كَالأشَـــــائِمْ**
وكـــــذاكَ لا خَـــــيرٌ ولا	**شـــــرٌ عَلَـــــى أحـــــدٍ بِـــــدَائِمْ**
قَـــــدْ خُـــــط ذلـــــك فِي الزَّبـــــو	**ر الأولِيَّـــــاتِ القَـــــدَائمِ**

في الأبيات نصاح يقدمها الشاعر ينهى فيها عن الطيرة، وأنه ينبغي ألا يكون كل من أراد السعي عقد التمائم أو تطيَّر، وكذلك ينهى عن التشاؤم بالعطاس، ثم أخذ يتحدث عن نفسه بأنه لم يكن يتشاءم بالصرد، وأن أيامن الطير عنده مثل أشائمها، وأن الخير للإنسان ليس مستمراً وكذلك الشر؛ ولكن الخير والشر يتفاوتان على الناس، وأن كل ذلك مكتوب على بني آدم.

(١) ديوان المرقشين، ص ٧٥-٧٦.

ومثله يقول خثيم بن عدي يمدح رجلاً يُنكر الطِيرةَ والتشاؤم(١):

ولـــيس بِهيَّـــابٍ إِذَا شـــدَّ رَحْلَـــهُ … يقولُ عَـــدَانِي اليـــوم واقٍ وحـــاتِمُ
ولكنه يمضـــي علـــى ذاك مُقـــدما … إذا صد عن تلك الهنـــات الخثـــارمُ

يمدح الشاعر رجلاً بأنه لا يأبه برواية الصرد أو الغراب، ولا يتطير بهما عند إرادته السفر، ولا يمنعه من المضي قُدماً في قضاء ما عزم عليه.

وقال الحارث بن شمر الحنفي(٢):

ولستَ بِمشْفِقٍ مِـــن ضَـــرٍّ نَجَـــمٍ … ولا أرجـــوا المَنَـــافَعَ في النّجـــومِ
وما نَعـــبَ الغُـــرابُ لَنَـــا بِـــيمنٍ … ومـــا نَعـــبَ الغُـــرابُ لنـــا بِشُـــومِ
ولَكـــــنْ مَـــــا أَرَادَ اللهُ أمَضَـــــى … كَذلِكَ قُـــدْرَةُ الـــرَّؤُوفِ الـــرَّحِيمِ

في الأبيات يخبر الشاعر أنه لا يرى في النجوم ولا في صوت الغراب شؤماً ولا تطيراً، ولكن اعتماده على الله في جميع أموره.

ويقول جهم بن عبد الرحمن الأسدي(٣):

أَلْمْ تَـــرَ أَنْ العَـــائِفينَ ولَـــو حَـــوتْ … لَكَ الطـــيرُ عمَّـــا في غـــدٍ عُميَـــان
يَظنَّـــــان ظنـــــاً مـــــرةً يُخطِئانِـــــه … وأُخرى على بَعضِ الـــذي يَصْـــفَان
قَضَى اللهُ ألاَّ يعْلَـــمَ الغيـــبَ غـــيرُه … فَفِـــــي أيِّ أَمـــــرِ الله تَمْتَرِيـــــان؟

(١) المعاني الكبير، ج١، ص ٢٨٧.
(٢) كتاب الزهرة. ابن داوود الأصبهاني، ج١، ص ٩٧.
(٣) كتاب الزهرة. ابن داوود الأصبهاني، ج١، ص ٩٧.

في الأبيات ينكر الشاعر على من يزجر الطير؛ لأن الطير لا تعلم الغيب، ولا تعطيك مما تخشاه حذراً، وأن كل ما تفعلونه من تطيرٍ قد يصيب مرة، ويُخطئ أخرى، وأن الغيب الذي تطلبون معرفته بزجر الطير علمه عند الله عز وجل.

ويقول الكُميت الأسدي(١):

وَمَا أَنا مِمَّن يَزجُـرُ الطيْـرَ هَمُّـهُ — أصاحَ غـرابٌ أَمْ تَعـرَّضَ ثَعْلَـبُ

ولا السانِحَاتِ البَارِحَـاتِ عَشِـيَّةً — أمرَّ سَلِيمُ القَلْبِ أَمْ مـرَّ أَعضَـبُ

يمدح الشاعر نفسه بأنه ممن لا يعير اهتماماً بالطير ولا بزجره ولا بصياح الغراب، وأن ذلك لا يثنيه عما يسعى له.

ويقول عوف بن عطية الخرع(٢):

نَـؤمُّ الـبِلاَدَ لِحُـبِّ اللِّقـا — ولا نتَّقِـي طَـائِراً حيـثُ طَـارَا

سَـنِيحاً وَلاَ جَارِيَـا بَارِحـاً — عَلى كُـلِّ حَـالٍ نُلاقِـي اليَسَـارَا

فمما سبق من الشواهد الشعرية وغيرها؛ يتبين لنا أن عادة التطير والتشاؤم لم يكن يعتقدها كل العرب..... بل وُجد فيهم من يُنكرها ويعيبها كما مثلنا سابقاً بشواهد شعرية.

ومن ذكرها من الشعراء في أشعارهم أظهروا مثل هذه المعتقدات والأساطير المتعلقة ببعض أنواع الطير، فأخذوا يذكرونها عند فراق الأحبة والبعد عن الأوطان وعند حلول المصائب والمآسي.

---

(١) المصدر السابق، ج١، ص ٩٧.

(٢) المفضليات، للضبي، ص١٢٤.

صفوة المبحث وخلاصته:

يتضح من خلال ما سُطِّر في ثنايا هذا المبحث أن حياة كثير من العرب في العصر الجاهلي اتسمت بكثير من العادات الأسطورية التي لا تخرج ولا تكون إلا من منطق الخُرافة الذي سيطر على عقول كثير منهم؛ لا فتقادهم المصدر الإلهي الذي يهتدون بهدية، ويستضيئون بنوره.

فلما جاء الإسلام بين لهم خرافات هذه العادات، وأنها قائمه على الأوهام التي يلقيها الدجالون والمشعوذون، وهدَم الإسلام مُعتقدات العرب في التطير.

وأخذ الرسول الله ﷺ يُخلص الناس من هذه المعتقدات والأساطير بعدما تغلغلت في أفكار الكثير منهم وبانت في أفعالهم، وحثهم على التفاؤل ونبذ التطير والتشاؤم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: (لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل. قالوا وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة) (١)

فأخذ من دخل في الإسلام من العرب يتجنب الطيرة والتشاؤم، في حياتهم الاجتماعية والدينية ونبذ المعتقدات والأساطير التي لا أساس لها، وذلك عندما جاء

(١) صحيح مسلم – ٢٢٢٤

القرءان الكريم والرسول الكريم ﷺ؛ فهما المصدران الصحيحان السليمان الصادقان في أخبارهما، فارتبطت عقولهم بأخبار صادقة، ونبذوا الأفكار التي كانوا يعتقدونها.

ومع ذلك كله نجد التشاؤم بالطير؛ لم يندرس عند كل الشعراء؛ لتعليق نفوسهم بالمحبوب تعلقاً جعلها تعيش في دوامة غيبت عقلها عن المسار الصحيح لها، وحجبت أعينهم عن رؤية الطريق السليم والحق، وقد ذكرنا في ثنايا هذا المبحث أبيات لشعراء جاءوا في عصور ظهرت بعد الإسلام: كقيس بن الملوح، ورؤبة بن العجاج وغيرهم، مما يدل على بقاء هذا التصور الخاطئ في التشاؤم بالطير.

الفصـــل الثـاني

تشكل الخطـاب الشعري

- المبحث الأول: أشكال الخطاب
- المبحث الثاني: وظيفة الخطـاب
- المبحث الثالث: سمات الخطـاب

المبحث الأول

أشكال الخطاب

المناجاة.

فقد جاءت مناجاة الشعراء للطيور، وبثهم لما يشعرون به من أحاسيس حركت وجدانهم، وأثارت مكامن الشجن في قلوبهم على أشكال من الخطاب متنوع؛ ومن هذه الاشكال التي اتخذها الشعراء في مخاطبتهم للطيور بأنواعها: خطاب المناجاة.

المناجاة:

ناجى الرجلَ مناجاة ونجاء: سارّه وانتحى القوم وتناجوا: تساروا(١).

ناجى فلاناً: ساره بما في قلبه من أسرار أو مشاعر، وخصه بالحديث(٢).

والشعر العربي قد ضم بين سطوره مناجيات للطيور، وهي مناجيات رقيقةٌ تفيض جمالاً وكان بعض الشعراء يبث شجونه للطير؛ فإذا نظر إلى السماء ورأى الطير يحلق في جوها حمله السلام إلى الحبيب.

ألا أيُّهــا الطــيرُ المُحلِّــقُ غَادِيَــا تَحمَّلْ سَلاَمي لا تَــذَرْنِي مُنادِيَــا(٣)

(١) لسان العرب، لابن منظور – حرف النون.

(٢) المعجم الوسيط

(٣) ديوان قيس بن الملوح العامري: ص:٢٣٨

وإذا مر بعقاب ساقط على وكره؛ دعا له، وطلب منه بياناً عن الحبيب يُخرجه مما يعانيه ويُكابده من شوق لمعرفة حال الحبيب.

أَلاَ يا عُقَابَ الوَكْرِ وَكْــر ضَــرِيَّةٍ سُقِيتِ الغَوَادِي مِنْ عُقَابٍ عَلَى وَكْرِ

أبينِي لَنَــا لازال رِيشُــكِ نَاعِمــاً ولا زِلْتِ فِي صَيْدٍ مُخَضَّــبَةَ الظُّفْــرِ

إِذَا ذُكِرَتْ لَيْلَــى أُسَــرَّ بِــذِكْرِهَا كمَا انْتَفَضَ العُصْفُور مِنْ بَلَلِ القطر[1]

وإذا ما رأى غراباً قسا عليه ودعا عليه بالعذاب والهوان والتشريد وفراق الأحبة.

وإذا مر بطيور على أشجار دنا منها يُناجيها متذكرا الحبيبة ناشداً أشعار الهوى والغرام يُحركه في ذلك نوحُ الحمام وشجوها الذي يُثير الشجون، ويُهيج الجوى، ويجدد الوجد في قلبه.

(١) ديوان قيس بن الملوح العامري، ص: ١١٩

ومن أمثلة مناجاة الطير يقول عنترة[1]:

وَقَدْ غَنَّى عَلَى الأَغْصَانِ طَيرٌ ... بِصَوْتٍ حَنينُه يَشْفِي العَلِيلا

بَكَى فَأعْرتُه أَجفَان عَيْنِي ... ونَاحَ فَزَادَ إعْوالَي عَويلا

فَقلْتُ لَهُ: جَرَحْتَ صَميمَ قَلْبِي ... وَأَبْدَى نَوْحُك الدَّاءَ الدَّخِيلا

وَمَا أَبْقَيْت في جفْنِي دُمُوعاً ... ولا جِسْماً أَعِيشُ بِه نَحِيلا

ولا أَبْقَى لِيَ الهِجرَانُ صَبْراً ... لِكَيْ أَلْقَى المَنَازِلَ والطُّلولا

ولو أنّي كَشفتُ الدِّرعَ عَنيِّ ... رأيتَ وَرَاءه جِسْماً نحِيلاً

وعَادَانِي غُرابُ البَيْن حَتَّى ... كَأَنِّي قَدْ قَتَلتُ لَهُ قَتِيلا

الأبيات السابقة أشارت إلى أن الشاعر قد وجد طيراً يشدو بصوبته الذي حين سمعه حرك فيه مكامن الحب والهوى، وهذا الصوت يخفف عنه ما يجد من لوعة وشدة شوقه لحبيبته، صوتٌ يشفي العليلا، وأخذ يذكر في قصيدته أنه أخذ في الإصغاء له بعينيه مع أذنيه، وأنه حين ناح هذا الطير زاد ما به من حُرقة وشوق، ثم أخذ في مناجاته فقال له: جرحت صميم قلبي وحركت بنوحك ما أكابده من الشوق والهوى؛ وبنوحك فبكيتُ واشتدَّ بكائي حتى انقطع الدمع عن عينٍ وهزل جسمي وأصبح نحيلا، ثم أخذ في مناجاته التي يحكي منها كيف أصبح حاله بعد الهجران والفراق الذي صار بينه وبين محبو بته حتى صار لا يقوى على المرور بأرضها وديارها التي أصبحت أطلالا، ثم أخذ يصف حاله بأنه قد ألم به من الفِراق ما جعله في مُتغير

(١) ديوان عنترة بن شداد، ص٧٠.

الحال، وأنه قد أصبح هزيلاً ذا جسم نحيل، وأنه يستره بهذا الدرع الذي يجعله عليه، وأخذ يشكو من غراب البين الذي يُذكره بفراق محبو بته، وأنه قد أصبح له عدواً حتى شبههُ الشاعرُ بالغريم الذي قتل له قريب ويطلبُ بثأره.

ومن خلال هذه المناجاة يتضح: ما كان يعيشه الشاعر من تعلق محبو بته؛ جعل ذلك يؤثر على نفسيته التي أثرت على نفسه وفكره؛ حتى جعله ذلك حين سمع نوح الطير يتأثر هذا التأثر الذي نراه في القصيدة؛ التي فيها أخذ يخاطبه بما يُكنه من مشاعر جياشة لفقد حبيبته وكيف أنه أثر فقدها في حياته.

ومن أمثلة مناجاة الطير في الشعر العربي:

يقول عنترة مناجياً الغراب[1]:

غُرابَ البَـيْنِ مَالَـكَ كُـلَّ يَـومٍ ... تُعانـدُني وَقَـدْ أشْـغلتَ بَـالي[2]

كأَني قَـدْ ذَبحـتُ بِحَـدِّ سَـيْفي ... فِراخَـكَ أَو قَنَصْـتُكَ بِالحِبَـال

بِحَقِّ أبِيـكَ داوي جُـرْحَ قَلْبِـي ... ورَوِّحْ نـارَ سِـرِّي بالـمَقالِ

وخبّر عـنْ عُبيْلَـةَ أَيْـنَ حَلَّـتْ ... وَمَـا فَعلـتْ بِهَـا أَيْـدِي اللَّيَـالي

فقلْـبي هـائمٌ في كـلِّ أرضٍ ... يُقبِّـل إِثـر أَخفَـافِ الجِمَـالِ

في الأبيات السابقة: يُظهر عنترة حزًنا لفراق محبوبته "عبلة"؛ فعنترة يخاطب الغراب ويناجيه قائلاً: مالك تعاندني أيها الغراب وكأني يوماً قد قتلت فِراخك بحد سيفي، أو كأني قمت باصطياد فراخك بحبالي.

ويستحلفه بأن يداوي جرح قلبه، ويجلب له أخبار محبوبته عبلة، وأين حلت؟ وماذا فعلت بها الأيام؟ بدلاً من أن يجلب أخبار الفراق التي اعتاد عليها وعلى نقلها له، وكأن عنترة يُريد أن يُوجه الغراب بأن يُغير من طبعه في نقل أخبار البعد والبين، ويتحول من منذر بالفراق إلى مبشر باللقاء.

ثم جعل عنترة يُبين حاله من الوجد والشوق لعبلة؛ شوقاً جعله يُقبل آثار أخفاف الجمال التي ركبت عليها عبلة حين رحلت عنه وفارقته.

---

(١) ديوان عنترة. ص: ١٤٨

(٢) لما كان يعتقده بعض العرب تجاه طائر الغراب بأنه جُبل على الفراق والبين

من خلال هذه الأبيات نرى الشوق والوجد من عنترة لعبلة، وحُزنه على فِراقها بلغ مبلغا؛ جعله يطلبُ من الغراب أن يكون على خِلاف الفِطرة التي يعتقد أنه مُنذر بالفِراق إلى مُبشرٍ باللقاء.

ومن أمثلة مناجاة الطير في الشعر العربي:

يقول أبو فراس الحمداني[1]:

أَقُولُ وَقَدْ ناحَتْ بِقُرْبِــي حَمَامــةٌ ... أَيَا جَارَتَا هَــلْ تشــعُرِين بِحَــالِي؟

مَعاذَ الهَوَى ما ذُقتِ طارِقةَ النَّــوَى ... ولا خَطَرَتْ مِنْــكِ الهُمُــومُ ببــالِ

أَتَحْمِلُ مَحْــزُونَ الفُــؤادِ قَــوَادِمٌ ... عَلى غُصْنٍ نَائِي الــــمَسَافَةِ عَــالِ

أيا جَارتَا، ما أَنْصَفَ الــدَّهْرُ بَينَنَــا ... تَعَــالِي أُقَاسِــمْكِ الهُمُــوم تَعَــالِي

تَعَالِي تَرَي رُوحــاً لَــديَّ ضَــعِيفَةً ... تَــرِدّدُ في جِسْــمٍ يُعــذّبُ بَــال

أَيَضْحَكُ مأسُورٌ، وتَبكِــي طَلِيقــةٌ ... ويسكُتُ مَحــزُونٌ وَيَنْــدبُ ســالِ

لقد كُنتُ أَوْلى مِنكِ بالــدَّمعِ مُقلَــةً ... وَلَكِنَّ دَمْعِــي فِي الحَــوَادِثِ غَــالِ

في هذه القصيدة نجد الشاعر يُناجي حمامة قد وقفت بجانب محبسه وسجنه الذي سُجن فيه من قبل الروم، فعندما سمع نوح الحمامة خاطبها بلفظ الجوار؛ وفي ذلك دلاله على أُنسه بها حين نزلت بجانب سجنه، ثم أخذ يسألها هل تشعر بحاله، وما يكابده من عناء الأسر الذي هو فيه، وكيف أنه يعانى من هذا الأسر لبعده عن موطنه وأهله وأحبابه، ثم إنه يخبرها أنه يُعيذ الهوى ويعصمه من هذه الحمامة أنها لم تذق طارقة النوى – وهى نازلة البين والفراق والبعد عن الأحبة – ولم تخطر بها على بال، ولو أنها عرفت ذلك لما حملتها قوادمها على غصنها المُرتفع عن الأرض، ثم أخذ في شكوى الدهر وأنه ما أنصف بينه وبين الحمامة؛ إذْ هو الذي يُعانى ويُكابد في سجنه

(١) ديوان أبي فراس الحمداني، ص: ٢١١– ٢١٢

وبُعده عن الذي يحب ويهوى، وهذه الحمامة التي لم تذق ما ذاقه؛ تعيش حرة طليقة، فود لو أنه يقاسمها همومه ومعاناته، أو تقاسمه هي الحرية والانطلاق، وكيف أن روحه التي في جسمه قد أصابها الضعف والوهن مما هو فيه من حال تعب فيه جسما وروحا.

وإنه ليعجب – لعلو نفسه – أنه يضحك وهو مأسور في السجن، وهي تبكي وتأخذ في نوحها وهي حُرة طليقة؟!! وأنه المحزون هو الأولى به البكاء، ولكنه صامت متجلد على نوائب الدهر وأذى الحبس والغربة عن الأحبة، وهي خالية من ذلك كله وتأخذ في الندب والبكاء والعويل؟!! ويخبرها أنه أولى منها بهذا البكاء والنوح؛ ولكن نفسه الأبيّة تأبى عليه، وتفرض عليه الصبر في النوائب، وأنه لا يُعرف له دمع في النوائب التي تُلِم به.

ومن خلال ما سبق نتعرف إلى شاعرٍ على ما يُكابده في السجن من غربة وبُعد عن الأحبة وكيف أنه أخذ في بث همومه وفقده لأحبته لطيرٍ – لا يدري ما يقول – وهو مع ما هو فيه له نفس أبيه تأبى الذل، وإن له قدراً لا يليق بمثله أن يتنازل عنه وأن لا يتضعضع مع حلول المصائب والنوائب عليه، ومع ذلك لم ير أحداً أحق ببث الشكوى له من هذا الطائر الذي أخذ يُناجيه ويبث له همومه.

ومن أمثلة مناجاة الطير في الشعر العربي القديم قيس بن ذريح قيس لبني[(١)]:

ألا يا غُراَب البَيْنِ هلْ أنت مُخـــبِرِي بِخُبرٍ كما خبَّـــرت بالنـــأي والشـــرِّ

وخبَّرتْ أنْ قَدْ جَدَّ بَــيْنٌ وَقَرَّبُــوا جِمالاً لِبينٍ مُــثْقَلاتٍ مــن الغَــدْرِ

وَهِجْتَ قَذَىَ عَيْنٍ بِلُبْنَـــيَ مَرِيضَـــةٍ إذا ذُكِرَتْ فَاضَتْ مَدَامِعُها تَجْـــرِي

وقُلْتَ: كَذَاكَ الدَّهْرُ مَازَالَ فَاجِعــاً صَدَقْتَ وَهَلْ شَيءٌ بِبَاقٍ عَلَى الـــدَّهْرِ

وفيما سبق من الأبيات نجد قيس بن ذريح يُناجي الغراب ويُناديه بقوله: ألا يا غراب؛ وفي ذلك دلالة على التلطف معه بمحاولته لفت انتباهه بأداة الاستفتاح "ألا"، ويسأله هل أنت مُخبري ومُطمئني على لُبنى ومُبشري بأنها في خير وسعة؟؛ فأنت الذي خبرتني قبل ذلك بفراقها عنى، وأنهم قد رحلوا "قوم لُبنى"؛ وأخذوا لُبنى معهم وهي في جمال مثقله ومحملة من الغدر!!!؛ غدري بلبنى حين طلقتها، وغدر والدي بي حينما أشار عليَ بطلاقها، ولقد جعلت عيني حين فراقها تفيض بالدمع مجاريها وذلك من فرط اشتياقي لها.

وإنك يا غراب البين، قلت لي: اصبر يا قيس على نكبات الدهر الذي من دأبه أن يُسبب الفجيعة للأحباب بالفراق والنوى؛ ولقد صدقت؛ فما شيء في هذا الدهر باقٍ على حاله، بل كل ما فيه مُعرض للزوال وخاصة فيما يتعلق بمفارقة الأحباب.

(١) ديوان قيس لبنى، ص: ٢٢

ويقول في موضع آخر(١):

ألا يا غُراب البَيْنِ قَدْ طِرْتَ بالــذي أُحَاذِرُ من لُبْنَي فَمـــا أَنْــتَ صـــانِعُ

وإنَّك لَوْ أَبْلَغْتَهـــا قِيلِـــي: اسْـــلَمِي طَوَتْ حَزَناً وارْفَضَّ مِنْهَا الـــــمَدَامِعُ

ففي هذين البيتين يقول قيس مخاطباً ومعاتباً لمُعانده الغراب: لقد طرت بالذي أُحاذر أي أخاف أن أفقده؛ فيسبب فقدانه لي الضرر وكذلك لبنى محبوبتي ،وهذا الشيء الذي طرت **به** مبتعداً به عني ليس سوى الحرز الذي كنت أحرزها به خوفا عليها من الضياع، فماذا أنت صانع معي ومعها بعد الآن؟!!

وإنك لو أبلغتها قولي لها: اسلمي؛ أي اسلمي من آفة الحُزن والبكاء؛ لطول حزنها في صدرها واستمرار نزول الدمع من عينيها؛ لاقتناعها بأني ما زلت أحبها حتى بعد طلاقي لها وابتعادي عنها.

حالة الشاعر النفسية:

ومن خلال ما سبق نرى أن الشاعر قد ركبه الهم والحزن والندم على طلاقه لزوجه لُبنى وأنه مازال متعلقا بها وهائما بحبها؛ فملك عليه هذا التعلق بها على نفسه وهذا ما جعله يصور حاله ومناه في مناجاته هذا الطائر "الغراب" – الذي هو في الأصل عدو له –، ولكن من شدة ما به من الندم على طلاقه للبنى، ورغبته في أن يعود إليها وتعود له؛ جعله ينشد لعدوٍ؛ عسى أن يكون صديقاً، وكما أنه "الغراب" كان السبب في الفِراق؛ عسى أن يكون السبب في الاجتماع بلبنى؛ وهذا من شدة الشعور بالهم الذي ركبه وأغم عليه نفسه.

---

(١) ديوان قيس لبنى، ص: ٥٦ –٥٧ .

ومن أشكال الخطاب الشعرى في مخاطبة الطير:

المحاورة:

المحاورة مصدر: حاور، يُحاور، محاورة وحواراً فهو: مُحاوِر، والمفعول محاوَر حاور فلاناً: جاوبه وبادله الكلام[1].

يقول الله تعالى:﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾[2].

وجاء في لسان العرب: المحاورة: المجاوبة، والتحاور: التجاوب.

والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة[3].

فالحِوار يأتي في سياق الكلام بين طرفين أو أكثر، ولا يخلو هذا الحِوار من أسلوب قصصي.

وأسلوب المحاورة في الشعر العربي لم يهتم به الشعر العربي في العصر الجاهلي، ولا في صدر الإسلام؛ لأن مداره على نظم قصص وحكايات، وإن كان قد وُجدت عندهم بدايات يسيره - وربما كانت غير مقصودة - كقصيدة الخطيئة "وطاوي ثلاث".

وأما بالنسبة للطير ومحاورة الشعراء له، وجعل ذلك في سياق الحكاية والقصة؛ فكما سبق أعلاه من عدم اهتمام الشعراء به؛ وجعلني ذلك لا أجد إلا بضع قصائد

(١) معجم المعاني الجامع مادة "حور".

(٢) سورة الكهف: آية ٣٧.

(٣) لسان العرب، لابن منظور مادة "حور".

ظهرت في العصر الأموي كان فيها هذا الأسلوب – أسلوب المحاورة –، وسأذكرها أو بعضها؛ لنعرف سبب أُنس الشعراء بالطير، وجعل ذلك الأُنس بالطير والشكوى وبث الهموم له في قالب الحكاية والقصة.

والإنسان بطبعه يتواصل مع من حوله من المخلوقات، والطير منها، وله مزية دون غيره من المخلوقات المُسخرة للإنسان لأمور سبق الحديث عنها[1].

(١) راجع المبحث الأول من الفصل الأول

ومن أمثلة محاورة الطير في الشعر العربي: قول مجنون ليلي[1]:

شَكَوْتُ إلى سِرْبِ القَطَا إذْ مَرِرْنَ بي فَقُلْتُ ومِثْلي بالبُكَاءِ جَديرُ
أَسِرْبَ القَطَا هل مِنْ مُعِيرٍ جَنَاحَهُ لَعَليَّ إلى مَنْ قد هَوِيتُ أَطيرُ
فَجَاوَبْنَني مِنْ فَوْقِ غُصْنِ أَراكَةٍ ألا كُلُّنا يا مُستَعيرُ مُعيرُ
وأيُّ قَطَاةٍ لم تُعِرْكَ جَنَاحَهَا فَعَاشَتْ بِضُرٍّ والجَنَاحُ كَسِيرُ
وإلا فَمَنْ هذا يُؤدِّى رِسَالةً فَأَشْكُرَهُ إنَّ الْمُحِبَّ شَكُورُ
إلى الله أَشكُو صَبْوَتي بعدَ كُرْبَتِي ونِيرانُ شَوْقِي ما بِهِنَّ فُتُورُ
أَلا قُلْ لِلَيْلي هَلْ تُرَاهَا مُجيرَتي فإِنِّي لها فِيمَا لديَّ مُجِيرُ
أظلُّ بِحُزْنٍ إنْ تَغَنَّتْ حَمَامَةٌ مِنَ الورقِ مِطْرابُ العَشِيِّ بَكُورُ
بكتْ حِينَ درَّ الشَّوْقُ لي وتَرَنَّمَتْ فلا صَحَلٌ تُرْبِي به وصَفيرُ

تعبّر الأبيات عن أعماق مشاعر هذا الشاعر المُلتاع، وتبوح بمشاعر الجوى والحب، وتكشف ألم الفؤاد المكلوم وصدى الحياة المريرة، التي تُظللِّ هذا العاشق الولع بمحبوبته "ليلى".

إن الشاعر ينقل لنا صدق مشاعره تجاه ليلى وفقده لها في هذه الأبيات السابقة في صور فنية رائعة تتمثل في صياغته قصته مع سرب القطا حين مر به وهو هائم في إحدى البراري.

(١) ديوان مجنون ليلى – شرح عدنان بن زكي بن درويش. دار صادر. بيروت.ص:٩٩- ١٠٠

بدأها ببكائه عندما مرَّ به سرب وهو في وضع الطيران فخاطبهم وناجاهم وهو في حال جعلته يتعلق بأمل في أنها تساعده وتعطيه ما يطلب؛ وقال لها مستفهماً ومتسائلاً: أيا سرب القطا هل منكن من تُعيرني جناحها؛ لعلي أطير به إلى من قد أحببت وتعلق قلبي بهواه، ولقد اختار الشاعر أن يطلب من الطير جناحيه لكي يتمكن من الطيران إلى محبوبته دون مشقه ودون عناء السفر والبحث عنها، وجعلته نفسه يتمنى ذلك لئلا يجد صعوبة في الوصول إليها بسرعة.

وقد استخدم الشاعر كلمة "لعلي" وهي تعني الرجاء؛ ليصور صدق مشاعره تجاه من حُرم رؤيتها وأصبح هائما على وجهه يطلب أخبارها ويسأل عنها كلَّ من يقابله – إذا عرف أنه مسافر أو قادم من ديار قبيلتها التي هاجروا إليها بعد أن منعوه الزواج بها.

وحكى لنا قيس في قصيدته بأن جميع القطا أجابه وهو واقف على غصن شجرة أراك؛ بأننا نُعيرك أيها المستعير المستنجد بنا وإنا على استعداد لنجدتك وعونك على ما أنت فيه من لهفةٍ إلى لقاء من تُحب.

وأن أي قطاة منا لا تعيرك جناحها فنحن ندعوا عليها بأن يصيبها الضرر ويُكسر جناحها وتعيش هكذا مكسورة الجناح لا تستطيع الطيران، ثم قال لها: وإذا لم تعرني جناحاً فمن يحمل رسالتي ويؤدِّيها إلى من أحب؟ فأشكره، وإن المحب لشكور لمن يُعنيه في التواصل مع محبوبته، ثم أخذ يقول:

إلى الله أشكو حنيني وضيق صدري من شدة الحزن؛ فنيران شوقي لا تهدأ ولا تعرف فتوراً.

ثم أخذ يُملي الرسالة التي يُريد إيصالها إلى ليلى ويقول:

اسألوا ليلى: هل هي مجيرتي إذا ذهبت للقائها؟ هل تُجيرني من أهلها، فإني لو كنت مكانها لأجرتها بكل ما لدي وما أملك، وأخبروها أني في حال من الحزن والهم يكون في ازدياد عليَّ كلما تغنَّت حمامة وغرَّدت على غُصنها، حتى إن الحمامةَ بكت حين رأت شدَّة شوقي وعذابي؛ وغنَّت بصوت طرب فلا هو مبحوح ترثي به ولا هو ضعيف فيه صفير، يُعبِر عن فرحة وسعادة وأملٍ في لقاء قريب.

من خلال هذه الأبيات تستطيع التعرف على نفسية الشاعر والتي هي: نفسية تحمل حبا عظيماً وشوقا كبيراً لليلى؛ جعله في حالة وصف يسببها بالمجنون –مجنون ليلى – إنني حين أراه يطلب من القطا: جناحاً يستعيره منها؛ فهذا يدل على أنه من شدة شوق جعله يعيش ما يُسمى بـــ "أحلام اليقظة"!!

وأنه خاطب وتحدث إليه وأرسل معه رسالة محملة بالشوق وصدق المشاعر ليوصلها إلى ليلى.

وقد جاء في القصيدة: "فجاوبني – كُلنا"، وهذا يدلنا على أن الشاعر رأى في الطير دون البشر نجدته له ووقوفه بجانبه.

اختيار الشاعر طائر القطا؛ يُعطي إشارة إلى أنه قد فارق أهله دياره، ورضيَ بالبقاء في البرية؛ لأن طائر القطا: طائر يعيش في البراري، والشاعر رأى أُنسه في البراري يُخاطب فيها الطيور ويستأنس بغنائها أو نوحها.

وحُبه الصادق جعله يُخرج لنا عيوناً من قصائد الغزل والشوق والحنين.

ومن أمثلة محاورة الطير في الشعر العربي: يقول عنترة[(١)]:

ولَقَــدْ نَــاحَ في الغُصُــونِ حَمَــامٌ ... فَشَــجَاني حنِينُـــه والنحِيـــبُ
بَاتَ يَشْــكُو فِــراقَ إلــفٍ بَعيــدٍ ... ويُنَــادِي أنــا الغرِيــبُ الوحِيــدُ
يا حَمامَ الغُصونِ لَوْ كُنْــتَ مِثْلِــي ... عاشِقاً لَمْ يَرُقْــكَ غُصــنٌ رطِيــبُ
فَــاترُكِ الوجْــدَ والهَــوى لمحِــبٍ ... قَلْبُــهُ قَــدْ أَذَابَــه التَّعــذِيبُ
كُلُّ يَومٍ لَه عِتَــابٌ مَــع الدَّهــــ ... ــرِ وأَمْــرٌ يُحَــارُ فِيــه اللَّبِيــبُ
وَبَلايــا مــا تَنْقَضِــي وَرَزَايــا ... مَــا لَهــا مِــنْ نِهايــةٍ وخُطُــوبُ

الأبيات السابقة تُخبر بجِوار قصير دار بين عنترة وبين طائر الحمام؛ حيث ذكر الشاعر في قصيدته أنه سمع حماماً على أغصان الشجرة ينوح ويبكي، وبكاءه قد أحزن عنترة وحرك ما فيه من وجد وشوق إلى عبلة، وبأنه أخذ يشكو لعنترة فراقه لإلفه وحبيبه البعيد عنه، وينادى يقول: أنا الوحيد الغريب لا أنيس لي بعد فقدي لإلفي فأخذ عنترة في الرد عليه وجوابه: بأنك لست عاشقاً مثلي، ولو كنت عاشقا بحق وصدق لم يهنأ لك العيش على غصن، ولعشت حياة لا راحة فيها ولا سعادة؛ لبعدك عن من تحب وفراقك له.

أيها القمري، اترك الحب والشوق للذي قلبه قد ذاب من التعذيب.

فإن اللوعة والغرام قد حُيِّزت إليّ؛ فأصبحت أقاسي الفرقة وألم البعد عن محبوبتي عبلة، وقد أصبح يُعاتب الزمن والدهر؛ لأنه السبب فيما هو فيه؛ يأخذ في عتاب

(١) ديوان عنترة ص: ٧٨

الدهر ويخاطبه بقوله: أنت السبب في فراق من أُحب، إني في أمرٍ من الهم والشوق ما يحار فيه العاقل اللبيب من هول ما يرى بي وما أُكابده، وما يحل بي من مصائب ورزايا لا نهاية لها وكل ذلك بسبب الدهر الذي تعرض لي؛ فأفقدني عبلة، وفارق بيني وبينها، وأقام على صروفاً من مصائبه، وخطوب وأحداث جِسام، تجعلني أتودد للدهر بالعتاب علَه يُخفف عني مما يُحله بي من البلايا.

من خلال الأبيات التي قالها عنترة؛ نجده في حال من الحزن على فراق عبلة حزناً شديداً، جعله ينكر حزن غيره على من فقد أليفه، وهذه حال وصل لها الشاعر من ضيق النفس، وتشتت الذهن، وكثرة الشكوى، والإحساس بأنه محارب من جميع من حوله؛ لما تتابعت عليه المصائب متتالية من فقد عبلة، وأن كل من يشكو فراق حبيب فهو دونه في الوجد والشوق لمن يُحب.

ومن أشكال الخطاب الشعري في مخاطبة الطير

المناداة:

والمناداة[١] مصدر: نادى، ناد، نداء، ومناداة، فهو مُنادٍ، والمفعول: مُنادًى.

والنداء: طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف ناب مناب "أدعو"[٢].

وللنداء أدوات منها: الهمزة – أي – أيا – "يا" وهي أصل أدوات النداء[٣].

والنداء من أساليب الإنشاء الطلبي، وتعد النداء ركيزة رئيسة في معظم قصائد مخاطبة الطير وأحد الظواهر الأسلوبية المهمة في نسج القصيدة.

والنداء جاء في صور وألوان مُتعددة في مواقف مخاطبة الطير، والاستهلال والافتتاح في القصيدة بالنداء؛ يُعد أمراً طبعيا في موقف يُبنى على الخطاب والحديث إلا أن جملة النداء في القصيدة مع السياق الذي ترد فيه في القصيدة:

كثيراً ما تشعر بالكلام القادم، وتلقي في المسامع عمق المعنى، وتقرب إلى الأذهان ذلك الصوت الذي همس به الشاعر للطير في موقف مناداته له.

والشاعر حين يخاطب الطير؛ يكون في مخاطبته مستخدماً النداء، في صورته الحقيقية والمجازية، وهو جزء لا ينفصل من "الخطاب" أو المحادثة إيقاظاً للحِس، أو لأهمية ما سيُلقى، أو إيناساً باسم المنادى، ونحو ذلك من المقاصد التي قد يطرقها الشاعر بسبب ندائه هذا الطير أو ذاك.

(١) المعجم الوسيط، مادة "نادى".

(٢) شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك – باب المنادى، ص ٢٥٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٥٨.

من أمثلة مناداة الطير في الشعر العربي:

ما قاله الشاعر الصنوبري في رثاء ابنته ليلي[1]:

ألا يــا أيُّهــا القُمْــرِي كَــمْ ذَا	تُغرِّدُ فِــي الــرَّوَاحِ وَفِــي البُكُــورِ
أجدَّك تَشْــتَكِي جَزَعــاً وَتَبْكِــي	لِمفقُــــودٍ كَـــبِيرٍ أَوْ صـــغيرِ
فَقَعْ فِــي بَــابِ قَنْسَــرِينَ فَــانْظُرْ	إِلى جَــزَعِ النِّســاءِ عَلَــى القُبُــورِ
نَسَــــاءٌ في حِـــدَادٍ صَـــائِحَاتٌ	كَغِربَـــانٍ تَصــايَحُ فِـــي الوُكُـــورِ
يُنَــــادِينَ الأَحِبَّــــةَ في صُـــخورٍ	وَكَيْفَ يجُيبُ مَنْ تَحْــتَ الصُّــخُورِ
ينُحنَ وَمَــا يَــنُحنَ شَــبِيهَ لَيْلَــي	وَيَنْحَرنَ الــدموعَ عَلَــى النُّحــورِ
أَبَتْ رُؤيَا السُّــرُورِ عيَــونُ قــوم	رَأوا لَيْلَــي تَسِــيرُ عَلَــى سَــرِيرِ
سَأبْكِي مَا بَكَــى القُمــري بِنْتِــي	بِبَحْــرٍ مِــنْ دُمُــوعِي بَــلْ بُحــورِ
أَلَسْــتُ أحــقُّ أَنْ أَبْكِــي عَلَيْهَــا	إذا بَكَــتْ الطُّيــورُ عَلَــى الطيــورِ

ابتدأ القصيدة بنداء القمري لما سمع في صوت القمري نياحة على ألفه، وقال له: أحقاً تبكى وتشتكى لفقد إلفك؟ هذا ليس بكاء حقاً؛ وإنما إذا أردت الحُزن والبُكاء، فاذهب إلى قنسرين – الموضع الذي فيه قبر ابنته – وانظر إلى النساء وحزنهن وبكائهن على من وُسِدتْ في القبر، وكيف جزعهن!!!!

نساء أخذن من شدة الحزن والفقد في صياح طويل، وهن مُجتمعات حول قبر ابنته، كاجتماع الغربان في وكورها.

(١) ديوان الصنوبري، ص ٩٧.

أخذن في الندبة والتفجع والحزن وأصبحن ينادين من تحت الصخور والتراب ممن فُقدن....

ولكن هيهات.... كيف يجيب من تحت التراب!!!!

ثم يذكر الشاعر بأنه بموت ابنته – أخذت عيونه من الدموع تنهمر، وأن عيناه أبت أن ترى طريقا للسرور والفرح، لأنها: رأت ليلى وهي تُحمل على جنازتها، ومن شدة حُزنه على ابنته أخذ يقول: سأبكي عليها ببحور من الدموع، غير مُنقطع في بكائي.

ومن خلال ما سبق نرى أن الشاعر الصنوبري قد أصابه الحزن والهم في فقد ابنته بلغ مبلغاً يرى فيه: أن أي بكاء على فقد حبيب ليس كبكائه على ابنته ليلي، ولوعة الشاعر على ابنته كانت قويه فهي قد صدرت في بيئة ترى البكاء على النساء عاراً إلي وقت قريب من زمن الصنوبري، ومع ذلك من شدة تعلقه بابنته وصدق مشاعره أخذ يرثيها بهذه القصيدة وغير ها من القصائد.

ومن أمثلة مناداة الطير في الشعر العربي:

ما قاله: كليب بن ربيعة التغلبي – وقيل طرفه – مع اختلاف بينهما يسير في الأبيات، يقول كليب:

بَالَـــكِ مِـــنْ قُبَّـــرةٍ بِمَعْمَـــري　　لا تَرْهبِـــي خَوْفَـــاً ولا تَسْـــتَنْكِري

قَدْ ذَهبَ الصَّيَّادُ عَنـــكِ فَأبشـــرِي　　وَرُفِـــعَ الفَّـــخُ فَمَـــاذَا تَحْـــذَرِي

خَلاَ لَكِ الجوُّ فَبِيضِـــي وَاصْـــفُرِي　　ونَقَّـــرِي مَـــا شِـــئتِ أَنْ تُنْقِـــرِي

فَأنتِ جَارِي مِنْ صُـــرُوفِ الحَـــذرِ　　إِلَـــى بُلـــوغِ يَوْمَـــكِ الـــمُقَدَّرِ

الأبيات السابقة كما شارت سابقا أنها لكليب وقيل[1] لطرفه بن العبد مع اختلاف يسير بينهما في الأبيات من حيث الألفاظ وسأتطرق إلى تحليليها مع بيان سبب نسبة الأبيات لكل منهما.

كان لكليب بن ربيعة حمى لا يُقرب هذا الحمى فجاءت قُبره وأقامت في هذا الحِمى، وباضت فيه بيضها.

فأجار كليب هذا البيض، وقال لها مخاطبا: بأنك قبره في مأمن فلا ترهبي ولا تستنكري شيئا قرُبَ إلى بيضك وعشك فأنت في حماي وسيطول عمرك، لأنه لن تتعرضي في حِماي للأذى الذي قد يكون سببا في هلاكك فأبشري بزوال الخطر عنك من الصياد وفخه فضعي بيضك وأنت في مأمن وصفري ما شئت من الصفير ونقري ما شئت من النقير فلن يضرك شيئا من صروف الخطر إلى أن توافي أجلك المقدر.

من خلال ما سبق من الأبيات وشرحها:

أجد أن الشاعر يملك نفساً عظيمة وشرفاً وسطوة، تجعله يُجير طيرا في مملكته وحماه.

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم- لليوسي – "خلا لك الجو فبيضي واصفري". ص ١٩٩.

وأما ما نُسب إلى طرفه من أبيات فهي[1]:

يَـــا لَـــكِ مِـــنْ قُـــبرَّةٍ بِمَعْمَـــرِ	**خَلاَ لَكِ الجَــوُ فَبِيضِــي وَاصُــفْرِي**
قَدْ رُفِــعَ الفــخُّ فَمَــاذَا تَحْــذَرِي	**وَنَقِّــرِي مَـــا شِــئْتِ أَنْ تُنَقِّـــرِي**
قَدْ ذَهبَ الصَّيَادُ عَنْــكِ فَأبْشِـــرِي	**لا بُد يَومـــاً أَنْ تُصَـــادِي فَاصْـــبِرِي**

وقيل[2] إن أول من قال هذه الأبيات هو طرفه بن العبد الشاعر الجاهلي وذلك أنه قال لأمه وهو غلام: إني أريد صيد القنا بر[3] فابعثي أمتك مع البهم كي ترعى بها فقالت له أمه: يا بني إن الُمضيع من وكل ماله، وأضاع عياله ، ثم أنها أرسلت أمتها مع البهم.

وخرج طرفة وصاحبٌ له معهما فخ، حتى أتيا مكاناً كانا يعهدان به القنابر كثيرة، فنصبا الفخ، وتنحيا غير بعيدين، فجعلت قبرة تحوم حول الفخ، ثم فقرته فأخطأها، فأقبل طرفه بن العبد نحو فخه وهو يقول:

قد يعثر الجواد، وتمحل البلاد، ويذهب التلاد، ويضعف الجلاد، ثم نصب فخه فوقعت القنابر حول الفخ، وهي تحيد عنه وتلقط ما أصابت، فلما طال ذلك به ضجر وانتزع فخه، وهو يقول:

قَـــاتَلكُنَّ الله مِــــنْ قَنَـــايِرَ	**مُهتــــديَاتٍ بِـــالفَلاَ نَـــوَافِر**
ولا سُـــقَيْتُنَّ مَعِـــينَ المَـــاطِرِ	**وَلاَ رَعيْـــتُنَّ جَنـــوبَ الحَـــاجِرِ**

---

(١) ديوان طرفة، ص ١٢.

(٢) زهر الأكم في الأمثال والحكم- لليوسي - "خلا لك الجو فبيضي واصفري". ص ١٩٩.

(٣) القنابر: جمع قنبرة وقبرة وقنبرة وهو: ضرب من الطير يشبه الحمرة - لسان العرب- لابن منظور-"قبر"

وانصرف هو وصاحبه راجعين، ثم التفتَ فإذا القنابر قد سقطن بالموضع الذي نصب فيه فخه يلتقطن، فقال:

بَالَـــكِ مِـــنْ قُبَّـــرةٍ بمعمَّـــرِ الأَبيـــات الســـابقة أعـــلاه

فلما أتى إلى مترله ورأته أمه لم يصد شيئا، قالت له: حدك اليوم حاد، وصدك صاد!!! فقال لها طرفة:

مَا كُنْـــتُ مَحـــدوداً إِذْ غَـــدوتُ وَمَـــا رأَيْـــتِ مِثْـــلَ مَـــا لقِيـــتُ

مِنْ طَـــائِرٍ ظَـــلَّ بِنَـــا يَحـــوُتُ[1] يَنْصَبُّ فِـــي اللـــوحِ فَمَـــا يَفـــوتُ

يكـــاد مـــن رهبتنـــا يمـــوتُ

فقالت له أمه: إني لأرجو أن تكون شاعراً وأن تُشبه خالك.

ومن خلال أبيات طرفه في القبرة، يتضح لي مقدرة طرفة الشعرية – على حداثة سنه– في وصفه لرحلته مع صاحبه لصيد القنابر، وما جرى عليهما في صيدها.

صورها طرفة في أبيات صورة فنية، حتى توسمت فيه أمه أن يكون شاعرا مثل خاله المتلمس، ومن الموافقات أن طرفة أصبح من شعراء المعلقات على أنه مات مقتولا وهو في شبابه وهو: ابن ست وعشرين سنة.

(١) حات، يحوت: أسرع.

المبحث الثاني

وظيفة الخطاب

من مسوغات مخاطبة الشعراء الطيرَ في الشعر العربي:

أ- البوح:

جاء في لسان العرب[1]: البوح: ظهور الشيء. وباح الشيء: ظهر وباح به بوحا: أظهره وأباحه سراً فباح به بوحاً: أبثه إياه فلم يكتمه فالبوح والبث بالمشاعر: تعبير عن آلام الإنسان المكنونة وأحزانه المؤلمة وأشواقه الحارة ومشاعره الفياضة.

والبوح بالمشاعر من الموضوعات المرتبطة بحياة الإنسان منذ أن وُجد ولن تنتهي إلا بانتهائه.

وإذا نظرنا إلى موضوع البوح بالمشاعر وبثها في الشعر وعلاقته بالطير، وجدنا ذلك متواجداً في الشعر العربي، لأن غناء الطير من مهيجات الشجن والطرب على حد سواء، فمن الشعراء من يرى غناءه يسري عنه، ومنهم من يراه مبعثاً لشجونه وأحزانه، ومن أكثر الطيور ذكراً في هذا الباب: "الحمامة أو الحمام"، فقد تردد على ألسنة الشعراء بكثرة دون باقي أصناف الطير الأخرى، لما يُهيج نوح الحمام من كوامن الأشواق، ولوعة الحنين، وحُرقة الجوى.

(١) لسان العرب – لابن منظور – مادة "بوح".

وقد ذكر الشريشي[1] ((أن الحمام كثر ذكره في أشعار العرب، و لم تزل العرب تستحسن تسجيع الحمام، وتغريد البلبل والورشان، وقد ذكرت العرب من رقة تسجيعه ما يبعث التذكر، ويُولد الشجون، ويُهيج الأسى، ويُحدد رقة القلب حتى يجعل البكاء فرضا معها، والتصابي لازماً لأجلها...........)).

وعادةً ما يرتبط ذكر الحمامة أو الحمام في الشعر العربي مع الفراق، فأكثر الشعراء قد وقف عليها، فكانت بينهما ألفه وشجن واستنطاق.

وبهذا استأثر طير الحمام باهتمام كثير من الشعراء حتى احتل مساحة واسعة في شعرهم.

(١) شرح مقامات الحريري – للشريشي- ج١ ص: ٣٦

ومن أمثلة البوح للطير والبث له:

ما قاله عنترة حيث قال[1]:

يا طَائرَ البانِ قد هيَّجْــتَ أَشْــجَاني / وزِدْتَنـــي طربـــاً يـــا طـــائرَ البَـــانِ
إنْ كُنْتَ تَنْدُبُ إلفاً قَدْ فُجِعْتَ بِـــه / فَقَدْ شَجَاكَ الذِي بِـــالبَيْنِ أَشْـــجَانِي
زِدْنِي مِنَ النَّوْحِ وَاسْعِدْنِي عَلَى حَزَنِي / حَتَّى تَرَى عَجَباً مِنْ فَـــيْضِ أَجْفَـــانِي
وَقِفْ لِتَنظُرَ مَا بِي ولا تَكُنْ عَجِـــلاً / واحْذَرْ لِنَفْسِكَ مِنْ أَنْفَـــاسِ نِيرَانِـــي
وَطِرْ لَعَلَّك فِي أَرضِ الحِجَـــازِ تَـــرَى / رَكْباً عَلَـــى عَـــالِجٍ أَوْ دُون نَعْمَـــانِ
يَســـرِي بِجَارِيـــةٍ تَنْهَـــلُّ أَدْمُعها / شَوْقاً إِلَـــى وَطَـــنٍ نَـــاءٍ وَجِـــيرَانِ
نَاشدتُكَ الله يـــا طَيْـــرَ الحَمَـــامِ إِذَا / رَأيتَ يَوماً حُمُولَ القَـــومِ فانْعَـــانِي
وَقُلْ: طَرِيحاً تَركنَـــاهُ وَقَـــدْ فَنِيَـــتْ / دُموعُهُ وهو يَبْكِـــى بالـــدَّمِ القَـــانِي

في الأبيات السابقة نجد أن عنترة قد مر على طائر فوق شجرة يُغرد بصوت جميل حرك مكامن الشوق في نفسه ولوعة البعد في قلبه.

فخاطبه قائلاً له: لقد هيجت أشجاني وأحزاني يا طائر البان فزدني من نوحك، واستمر في خطابه متحدثاً إليه، مسترسلاً معه، وكأنما يراه يصغي إليه ويستمع له.

إن كنت بنوحك هذا تتوجع وتتألم من فراق حبيبك، وإلفك وقد أُصبت بفراقه والبعد عنه؛ فإني أُخبرك وأبوح لك بأن الذي أشجاك وأحزنك من فقد من تحب، هو الذي يُحزنني؛ فلقد فقدت عبلة حين فارقتني وذهبت عني، فزدني من هذا النوح

(١) ديوان عنترة. ص: ١٧٨- ١٧٩

والبكاء الذي سيريك مني عجباً ببكائي على عبلة بكاء شديداً تفيض به مقلتي ولتنظر إلى حالة البؤس والعذاب، وضيق صدري الذي تخرج منه الزفرات والأنفاس كالنار من شدة ما تحمله نفسي من شوقٍ ولوعة لعبلة.

أيها الطائر الجميل، حبذا لو تطير وتذهب إلى أرض الحجاز لعلك ترى الركب الذي فيه عبلة في واد نعمان(1)، وإذا أردت أن تعرف ركبهم؛ فانظر إلى ركب يسيرون ومعهم فتاتي الجميلة التي تسيل أدمُعها شوقاً لي وحزناً علي فراقي.

ناشدتك الله يا طير الحمام إذا وجدت ركب القوم، فانعني لهم، وبلغهم ما أنا فيه، من عذاب وشوق ومعاناة، وقل لهم: تركنا عنترة طريحا ملقىً علي الأرض يبكي شوقاً حتى فنيت منه الدموع من كثرة البكاء وأنه قد استنفذ دموعه ووصل إلى مرحلة بكاءٍ بالدم القاني من شدة الفقد والجوى.

(١) وادٍ يقع بين المدينة والطائف.

ومن أمثلة البوح للطير والبث له:

ما قاله قيس بن الملوح حيث قال[1]:

ألا يَا حَمَامَيْ بَطْنِ نَعْمــانَ هِجْتُمــا … عَلَــيَّ الهَــوَى لَمَّــا تَغَنَّيْتُمــا لِيَــا

وَأَبْكَيتُماني وَسْطَ صَحْبِي وَلَمْ أَكُــنْ … أُبَالِي دُمُوعَ العَيْنِ لَو كُنْــتُ خُالِيَــا

وَيَــا أيُّهــا القُمْرِيَّتَــانِ تَجَاوَبَــا … بِلَحْنَيْكُمَا ثُــمَّ اسْــجَعَا عَلِّــلا نِيَــا

ألا لَيْتَ شِعْرِي مَا لِلَيْلى وَمَــا لِيَــا … ومَا لِلصِّبَا مِنْ بَعْــدِ شَــيْبٍ عَلاَنِيَــا

ألا أيها الواشــي بليلــى ألا تــرى … إلى من تشيها أو بمن جئــت واشــياً

لَئِنْ ظَعَنَ الأَحْبَابُ، يَــا أُمَّ مَالِــكٍ … فَمَا ظَعَنَ الحُــبُّ الــذِي فِي فُؤَادِيَــا

فَيَا رَبِّ إذْ صَيَّرْتَ لَيْلَى هِيَ المُنَــى … فَزِنِّــي بِعَيْنَيْهَــا كَمــا زِنْتَهَــا لِيَــا

وإِلاَّ فَبَغِّضْــــــها إِلَيَّ وأهْلَهــــــا … فَإِنِّي بِلَيْلَــى قَــدْ لَقِيــتُ الــدَّواهِيَا

على مِثْلِ لَيْلَى يَقْتُلُ المــرْءُ نفســه … وَإِنْ كُنْتُ مِنْ لَيْلَى على اليأس طاويا

خلَيلَــيَّ إِنْ ضَــنُّوا بِلَيْلَــى فَقَرِّبَــا … لِيَ النَّعْشَ وَالأَكْفانَ واسْــتَغْفِرَا ليــا

في الأبيات السابقة نجد مجنون ليلى ينادي حمامتين ويقول: لقد أهجتما وحركتما الحب في نفسي بغنائكما لي وتغريدكما، فجعلني ذلك أبكي وأنا بين أصحابي - وليس من عادات الرجال البكاء أمام بعضهم - ولو كنتُ خاليا لوحدي أبكي من حب ليلى لم أبالِ و لم أتحرج من بكائي عليها، ولا من تساقط أدمعي بسبب شوقي إليها.

---

(١) ديوان مجنون ليلى - شرح عدنان زكي درويش - دار صادر – بيروت، ص٢٣٠-٢٣١.

وخاطب قيس القمريتين وطلب منهما: أن يتناوبا باللحن والتغريد ثم يسقيانه من سجعهما وترتيلهما، ثم أخذ قيس يبث ويبوح بما يعانيه ويكابده مما صار فيه من حب ليلى ويقول: مالي ولليلي وهذا التعلق بها والشوق لرؤيتها وقد علاني المشيب وكبرت سني، فلستُ بالشاب الذي يقوى على صبر الفقد والبعد عن الحبيب ثم أخذ يؤنب ويعاتب من وشى بحبه لليلى إلى أهلها وكيف أنه أجرم بوشايته هذه، وأنه قد أصبح في حالٍ لو رآه من وشى به، ودَّ أنه لم يكن قد وشى به.

ثم أخذ قيس يخاطب ليلى، ويكنيها بكنيتها. "أم مالك"؛ وكأنه يشعر أن القمريتين تنصتان إليه وتستمعان إلى خطابه.

ويقول: لئن رحلتِ عني يا ليلى؛ فما رحل حُبك من فؤادي، بل بقي في قلبي، وصرتُ أُكابد الشوق والحنين الذي لكِ في فؤادي.

وأخذ قيس من شدة ما به من جوى وشوق وفقد يدعو ربه ويقول: يا ربِ أنت الذي جعلت ليلي كل مناي ومطلب في هذه الدنيا؛ فزيني يا ربِّ في عينيها وجملني حتى أكون منها كما هي مني، لنتبادل المشاعر والأشواق.

وما زال قيس يناجي ربه فيقول: إن لم تُزيني – يا ربِ – في عينيها كما زينتها في ناظري، فبغضها إليَّ، واجعلني لها كارهاً ولأهلها أيضاً، فبحبي لها قد أحاطتني المصاعب والمشاق والأمور الدواهي: من شوق وغربة وبُعدٍ وتفريقٍ وكمدٍ وتعب.

وخلاصة القول:

إنَّ تغريد الحمامتين هيَّج في نفسه الحب، وطلب بأن يستمرا في ذلك الغناء، وأن يسقياه من هذا الغناء؛ لأنه لا يجد راحة إلا في تذكر ليلى على الدوام دون انقطاع، ويظهر لنا أثر تعلقه الشديد بليلى الذي أخذ بلبه، أن دعا الله - عز وجل - إن لم يزينه في نظر ليلى ويجعلها تبادله ما يبثه لها من أحاسيس ومشاعر، أن يُبغض ليلى في قلبه من هول ما يجد ويكابده بسبب حُبه لها وعشقه ويظهر لنا ذلك في موضع آخر من القصيدة: شدة تعلقه بليلى حباً وشوقا وصبابة: أن عرف صاحبيه بأنه سيموت، إن لم يظفر بليلى أو مُنعت عنه أو مُنع عنها.

ومن أمثلة البوح للطير في الشعر العربي، قول الخنساء[1]

أَلا أَيُّها الدِّيكُ الـمُنَادِي بِسَحرةٍ ... هَلُم كَذَا أُخْبِرُكَ مَا قَدْ بَدَا لِيا

بَدَا لِي أَنِّي قَدْ رُزِئْتُ بِفِتْيَةٍ ... بَقِيّةِ قَوْمٍ أَوْرَثُونِي الـمَبَاكِيا

فَلمَّا سَمِعْتُ النائِحَاتِ ينْحنه ... تَعزَّيتُ واسْتَيْقنتُ أَنْ لا أَخَا لِيا

كَصَخْرِ بنِ عَمْرو خيرِ مَنْ قَدْ عَلِمتُه ... وَكَيْفَ أُرجِّي العَيْشَ ضَلَّ ضَلالِيا

وَمَا لِي لاَ أَبْكِي عَلَى مَنْ لَو أَنَّه ... تَقَدَّمَ يَومي قَبْلَه لَبَكَى لِيا

وإنْ تُمْسِ في قَيْسٍ وَزَيد وَعَامِرٍ ... وَغسَّان لَم تَسْمَعْ لَه الدَّهرَ لا حِيا

في الأبيات السابقة أرادت الخنساء رثاء أخيها صخراً كما قد رثته بقصائد أُخرى، فنادت طيراً، كي تبثه أحزانها وتبوح له بما آل له حالها، ولكنها لم تنادِ طائر الحمامة هذا الطائر الذي كان ملجأ غالب الشعراء إذا أرادوا البوح بحالهم وبث مشاعرهم؛ فقد عمدت إلى بثِّ حزنها وجزعها إلى الديك المنادي في السحر، وباحت له بمصابها، قائلة له:

أيها الديك المنادى بسحر[2] أقبل؛ كي أخبرك ماذا حل بي وماذا جرى لي، إني قد أصبت بفتية من قومي، وهذا المصاب الذي حل بهم قد ترك لهم عندى من عظيم فقدهم البكاء والنوح عليهم، وإن هؤلاء الفتية الذين فقدتهم من قومي، قد كان من بينهم أخي صخر ولم أكن أعرف بقتله، حتى سمعت النساء يندبنه وينحن عليه،

(١) ديوان الخنساء — ص ٩٩

(٢) السحر: آخر الليل وقبيل الفجر

فتيقنتُ حينها أنه لم يعد لي أخٌ في هذه الحياة، فقدتُ أخي صخراً، ولا أعلم رجلاً ولا أخاً خير منه، وكيف تطيب ليَ الحياة بعد فقده والعيش بعده.

أبكي علي صخر وأندبه وأرثيه، وحق لي ذلك أيها الديك.

وكيف لا أبكي عليه، وأنا أعلم بمحبتي ومعزتي عنده، وبأني لو تقدمته في الموت؛ لبكى عليَ وحزن لفراقي وموتي، وإنك أيها الديك لو تُمسي في قبائل العرب لا تسمع له أحداً يُقبحه أو يشتمه لكريم خصاله، وشريف سجاياه، فأنَّى لمثل من هذا حاله أن يذمه الناسُ أو يعيبوه.

ومن خلال هذه الأبيات التي تعبر عن:

شدة تعلق الخنساء بأخيها صخر، وشدة تأثرها بقتله وفجيعتها بفقده، برغم أنها فقدت معه أخاها معاوية ولكن كان صخر أقرب إلى نفسها وأشد عطفاً عليها، فكان حُزنها عليه حزناً شديداً وبكت عليه بدموع لا تنقطع.

ولعل في مخاطبتها الديك دون غيره؛ ما يُشعر بمدى الحزن الذي تعيشه والفقد الذي تكابده، جعلها تسهر ليلها في بكاءٍ وأنين؛ حتى انتبهت لصوت الديك الذي من عادته الصياح بالسحر.

ولقد رثت الخنساء أخاها صخراً رثاءً طويلاً بقصائد تُعد من عيون الشعر العربي في الرثاء.

ومن مسوغات مخاطبة الشعراء للطير في الشعر العربي:

ب) الأنس بالطير:

أنس – يأنِس – أُنسًا، فهو آنس، والمفعول: مأنوس إليه.

أنِس إلى فلان – أنِس بفلان: سكن إليه، وذهبت به وحشته، وألِفه وارتاح إليه[١].

وجاء في اللسان[٢]: والأُنس: خِلاف الوحشة.

كان الشاعر حينما يرى الطير؛ يأنس إليه ويرتاح؛ ويأخذ في مخاطبته، ومشاركته فيما هو فيه من تغريد - كلٌ منهما بلغته-.

فهو يُناجي الطير؛ رغبةً في مشاركته أحزانه؛ لشعوره بالوحدة والوحشة حيث لا أنيس له من البشر، أو لرسالة يقوم الطير بتوصيلها بطلب من الشاعر لمحبوبته، أو ليطلب منه أن يأتي بخبر من يُحب ويعشق.

وأكثر الطيور أُنساً وقرباً من الشعراء: طائر الحمام؛ - كما أُشير إليه سابقاً- وأن هديل الحمام يُحرّك المشاعر في أنفس الشعراء، ويبعثهم على الأُنس بهديله؛ فحظي هذا الطائر بمكانة خاصة في الشعر العربي، وتناوله الشعراء في قصائدهم؛ حتى كان له رصيد ضخم دون سائر الطيور.

---

(١) المعجم الوسيط. مادة: أنس.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، مادة: أنس.

وهم في ذلك مختلفون – أي الشعراء – من خِلال الحالة النفسيّة والشعورية لدى كل شاعر حين سماعه هديل الحمام وتغريده الحزين، ومن الشعراء من يرى فيه نوحاً، ومنهم من يرى فيه أُنساً، والُمبتهج والفِرح منهم يرى في صوت الحمام تغريداً، والخالي من شعور من سبق يرى فيه طمأنينة وسكينة.

والملاحظ: أن الحُزن والنواح هو الأساس عند الحمام؛ فالحمام بهديله وسجعه بريد العشاق، وأنيس المحزونين، وسمير المغتربين، وعادةً ما يجد الشاعر في هديل الحمام بكاءً حزيناً يُلقى في نفسه الُملتاعة، التي تحمل الشوق لمن يُحب، والجوى عن فقده من هجر.

ومن أمثلة مخاطبة الطير للأُنس به؛ قول: شفيق بن سُليك الأسدي(١):

ولم أبــكِ حــتى هيجــتني حمامــةٌ تُغنِّي حمامَ الورقِ فاستخرجتْ وجدي
فقدْ هيّجــتْ منِّــي حمامــةُ أيكــةٍ من الوجدِ شوقاً كنتُ أكتُمه جُهدي
تُنادي هديلاً فوق أخضــرَ نــاعمٍ غذاهُ ربيــعٌ بــاكرٌ في ثــرى جعــدِ
فقلتُ تعالي نبكِ من ذكرِ ما خــلا ونذكرُ منه مــا نُســِرُّ ومــا نُبــدي
فإن تُسعديني نبــكِ عبرتَنــا معــاً وإلاّ فإني سوف أســفحُها وحــدي

الشاعر هنا قد هيّجته حمامةٌ بغنائها، وحركت ما يحاول كتمانه من الحب والوجد؛ فدعاها ليتِباكيا معاً على ذكرياتها، وليتبادلا أحاديث الحب والهيام ما خفي منها، وما بدا.

---

(١) الزهرة، لأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني، ت: د. إبراهيم السمرائي، مكتبة المنار، الأردن: الزرقاء.

وخاطبها:

إنْ أردت أن تسعدينِي وتفرحيني وتؤنسيني؛ فابكي معي؛ فإن غناءك قد هيَّج الشوق والحب في قلبي، وإنْ لم تستجيبي لطلبي ورغبتي في البكاء معي وتأنيسي لحزني ووحشتي؛ فإنني سوف أبكي وأهمر دموعي وحدي؛ حيث لا أنيس لي من البشر أبثّه ما أكابد من حزن ولوعة وشوق.

والمتأمل لباعث الخطاب هنا؛ يجد أن الشاعر قد استأنس بالحمامة؛ حينما رآها وهي تغرّد على غصن الشجرة؛ فهيجت ما في قلبه من مشاعر الحب، وأحاسيس الشوق المدفونة في قلبه؛ فأخذ في كشف مشاعره وأحاسيسه، وذكر ما يعانيه من العشق والشوق لهذه الحمامة، وهو شيء لم يكن يذكره لأحد ولا يبوح به لبشر.

وفي هذا دلالة على أن الشاعر لم يكن يأنس إلا لهذه الحمامة؛ لما رأى من كونها تشاركه حالة الحب والعشق الذي يعيشه ويكابده؛ حينما أخذت على غصنها تُنادي بهديلها وتشدو.

ومن أمثلة مخاطبة الطير للأنس به ومشاركته حاله: ما قاله عبد الله بن طاهر(١):

ناحتْ مطوّقةٌ بباب الطاق ... فجرت سوابقُ دمعي المهراقِ

كانت تُغرِّدُ بالأراكِ وربّما ... كانت تُغرِّدُ في فروع الساقِ

فُجِعتْ بأفراخٍ فأسبَل دمعُها ... إنَّ الدموعَ تبوحُ بالأشواقِ

تَعِسَ الفراقُ وبتَّ حبل متينه ... وسقاه من سمٍّ الأساودِ ساقي

---

(١) ثمرات الأوراق، لابن حجّة الحموي، ج١، ص ١٩٨.

مـــــاذا أرادَ بقصـــــــده قمريـــــــةً لم تَـــــدرِ مـــــا بغــــدادُ في الآفـــــاقِ
بي مثل ما بك يـــا حمامـــةُ فاســـألي منْ فكّ أســـرَكِ أن يَحُـــلَّ وثـــاقي

تُشير الأبيات السابقة إلى أنه كان في بغداد محلّة تُسمّى: باب الطاق، وكان بها مسوق الطير، وزعموا: أنّ من عسر عليه أمرٌ؛ أطلق طيراً فتيسَّر أمره، ومر عبد الله بن طاهر الخراساني بهذا السوق، وقد طال مكثه في بغداد، ولم يأذن له الخليفةُ بالذهاب، وعند مروره بالسوق؛ رأى قمرية تفوح فأمر بشرائها؛ فامتنع صاحبها؛ فدفع له بها خمسمائة درهم؛ فأخذها وأطلقها في ذلك السوق، وأنشد هذه القصيدة السابقة.

وقد صوَّر الشاعر سماعه نوح الحمامة في السوق؛ فبكى بكاءً شديداً، وأخذت دموعه تسيل على خديه؛ لأنه رأى في بكائها أنساً له؛ فهي محبوسة في قفص، ممنوعة من الطيران، وهو يرى فيها حاله؛ حينما أراد الذهاب إلى خراسان؛ فمنعه الخليفة ولم يأذن له، ثم أخذ الشاعر يحكي حاله مِما فَقَد من بقائه في بغداد، ويُحاكيه بحال هذه المطوّقة المحبوسة في القفص، يقول: إن هذا الطائر كان حراً فوق الأغصان في سرور، ثم حُبس فأصبح تغريده في السوق وهو محبوس، نوحاً على ما فقده من أفراخ، وهي في نوحها تُبدي مشاعرها وشوقها إلى أفراخها وأسرابها.

ثم أخذ يشكو حالة الفِراق ويدعو عليها بالتعاسة؛ كيف أنها جعلته يُكابد الشوق والحنين لموطنه وأحبابه، واستمر في مخاطبتها متسائلاً:

ماذا أراد مِنْ قصد وقطع الطريق بمنعه هذه القمرية عن أحبابها، وحبسها في هذا البلد "بغداد" وقال حينما أطلقها بعد شرائها مخاطباً لها: بي مثل ما بك من الشوق

والحنين والفقد أيتها الحمامة؛ فاسألي وادعي "الله" الذي فك وثاقَك: أن يفك وثاقي وأعود إلى خرسان موطن أحبابي.

وقد قيل: إنه في ثاني يوم أُطلق ورجع إلى بلاده.

والمُدقِّقُ في الحالة النفسية لدى الشاعر؛ تتضح له الحالة الشعورية التي حكمت لغة الخطاب في الأبيات السابقة؛ إذْ أن الشاعر عندما سمع نوح الحمامة؛ ذكَّره حالها بما لم يُظهره لأحد؛ فاستأنس لوجود من يشاركه أحزانه، وحالة الحبس لدى الطير في القفص كما له حينما حُبس عن الذهاب إلى أهله في خراسان، وحالة الحبس للطير مع نوحه وهو بداخل القفص؛ أثارت الشجون، وجددت الوجد وهيّجت الجوى لدى الشاعر؛ فشعر بالأنس لمن يشاركه حالة الحبس، وما ترتب عليه من فقد وشوق ولهفة إلى الانطلاق ولقاء من يحب.

وإن الحالة العاطفية للشاعر، قد برزت وتجلت في دفع مالٍ قلّ وندر أن يُدفع في شراء طيرٍ؛ لأجل أن يُطلق سراحها لتنتهي مكابدتها ومعاناتها؛ لعله يُجازى بما يُنهي ما يُكابده هو ويعانيه.

لقد كان صوت الحمام مُحرِّكا العواطف، ومؤنساً للقلب؛ حتى أفاض الشاعر في وصف حاله وشعر بأنه به مثل ما به؛ فدعاه ذلك إلى شراءه بثمن غالٍ؛ من أجل أن يُطلقه؛ لعله يُطلق هو كذلك وهذا يصف الحالة النفسية المتمثلة في حالة التطابق لدى الشاعر وما يُعانيه من حبسه ومنعه عن الذهاب إلى أهله. ويذهب إلى أهله؛ فكان ما أراد.

ومن أمثلة مخاطبة الطير استئناساً به: ما قاله ابن شهيد الأندلسي(١):

وقلتُ لصدّاحِ الحَمامِ وقــد بكــى ... على القصدِ إلفــاً والــدموعُ تجــودُ

ألا أيُّها الباكِي علــى مــنْ تُحبُّــه ... كِلانـــا مُعنَّـــى بـــالخلاءِ فريـــدُ

وهل أنت دانٍ من مُحبٍ نــأى بــه ... عن الإِلْفِ سُــلْطانٌ عليــه شَــديدُ

فصفَّق مِنْ يعش الجنــاحين واقفــاً ... على القُربِ حتّى مــا عليــه مَزيــدُ

وما زال يبكــيني وأبكيــه جَاهــداً ... وللشوقِ من دونِ الضُّــلوعِ وقــودُ

إلى أن تبكى الجُدرانُ مــن طــولِ ... وأجهــس بــاب جانبــاه حديــد

يخاطب الحمام الذي رآه يغرِّد بصوت جميل ومطرب وعالٍ واقفاً على القصر الذي حُبس فيه الشاعر بقوله: أيها الحمام إن كنت تبكي على من تُحبه على من تُحبه؛ فإنّا شريكان في هذا المصاب فأنا أبكي على من فقدتُ من أحبابي بحبسي وبُعدي عنهم كما هو حالُك، ثم أخذ يسألُ هذا الطير، وهو في حال الضعف والانكسار هل ستتقرب مني وتؤنسني وتُشاركني أحزاني وهمومي؛ فأنا مُحِبٍ أبعد بي عن أحبابي، وما كنت ألف من حياة الرغد والفرح؛ سلطانٌ وحاكم قد قسا عليَّ وأودعني السجن.

فاستجابت الحمامة له؛ وقد اقتربت منه وأخذت تبكي بجواره وتشاركه حال البكاء والغربة؛ حتى امتزجت دموعهما معاً، وأخذ يبكي مع بكاءها بكاءً طويلاً

(١) ديوان ابن شهيد الأندلسي، ص ١٣.

وشديداً لما يُحس به من الشوق والوحشة في سجنه الذي هو فيه؛ حتى لقد أحس بأن كل ما حوله في السجن يبكي معه حتى الجدران المحيطة به.

وتتبين الحالة النفسية والشعورية لدى الشاعر في أشد حالاتها، ويظهر انفعاله مع صوت الحمامة صادقاً وعميقاً، ومؤثراً في شكوى ألم السجن من خلال ما يستخدمه من خطاب معبّر، وتراكيب وصور ناطقة بمعاني الحزن والألم، انبعثت من مشاعر نفسه البائسة والحزينة؛ إذ نجد البكاء ماثلاً في الوجود ومن حوله، متفاعلاً مع شعوره، مواسياً له في أحزانه، وهذا غاية ما يطلبه الشاعر الحزين ويتخيله؛ أن يشترك معه الكون في أحزانه.

المبحث الثالث

سِمَاتُ الخِطَابِ

أ) الصور الفنية:

تُمثِّل الصورة عنصراً فنياً مهماً في الشعر، بل تعد سمة من سِمَات العمل الأدبي، وركيزة أساسية من ركائز بناء القصيدة الشعرية، فلا يخلو الشعر من الصورة، وإذا افتقد النص الشعري إلى الصور؛ فإنه يتحوّل على جاف وبارد لا تحقق معه المُتعة الجمالية التي تُمثل هدفاً أساسياً للشعر؛ فالصورة الفنية للقصيدة هي جوهر البناء فيها، ودلالة من أدلة براعة الشاعر في استخدام مفردات اللُّغة وتراكيبها المختلفة[(١)].

إن الشاعر الأصيل هو الذي «يتوسل بالصورة ليُعبِّر بها عن حالات لا يمكن له أن يتفهمها ويجسدها بدون الصورة. وبهذا الفهم لا تُصبح الصورة شيئاً ثانوياً يمكن الاستغناء عنه أو حذفه، وإنما تُصبح وسيلة حتميّة لإدراك نوع مُتميّز من الحقائق تعجز اللغة العادية عن إدراكه، أو توصيله، وتُصبح المُتعة التي تمنحها الصورة للمُبدع قرينة الكشف، والتعرف على جوانب خفية من التجربة الإنسانية»[(٢)].

---

(١) انظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٢م، ص٨ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق، ص: ٣٨٣.

وقد اهتم النّقاد القدماء والمحدثون بالصورة في العمل الأدبي، وأولوه جُلَّ عنايتهم؛ فهذا الجاحظ وهو من أوّل النقّاد العرق القدماء، الذين التفتوا إلى الصورة ومهمتها الجمالية.

حيث يقول الجاحظ:

« فإني الشعر صناعة وضرب من النسج، وجنس من التصوير»(١) وتابعه الإمام عبد القاهر الجرجاني في ذلك فقال: « ومعلوم أن سبيل الكلام التصوير والصياغة، وأنه سبيل المعنى الذي يُعبِّر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه، كالفضة والذهب يُصاغ منها خاتم أو سِوار»(٢).

كما تحدث الإمام عبد القاهر الجرجاني عن التصوير؛ فبسط القول في الصورة مفهوماً واصطلاحاً، حيث قال:

« واعلم أن قولنا الصورة إنما هو تمثيل قياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة فكان تبيين إنسان من إنسان، وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذلك، وكذلك كان الأمر في المصنوعات، فكان تبيين: خاتم من خاتم وسِوار من

(١) الحيوان، للجاحظ، ص١٣٢، تحقيق: عبد السلام هارون، شركة ومكتبة: مصطفى البابلي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.

(٢) دلائل الإعجاز، للجرجاني، شرحه وعلق عليه: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ص١٩٧.

سِوار بذلك، ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه وبين الآخر بينونة في عقولنا وفروقاً؛ عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا: للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك»[(١)].

فالصورة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ليست إلا الميزان للشيء عن غيره، وقد تكون في الشكل، وقد تكون في المضمون؛ لأن الصورة مستوعبة لهما، والنظر لأحدهما لابد أن تنعكس على الآخر، ولا يمكن الفصل بينهما[(٢)].

وهكذا فإن الإمام عبد القاهر الجرجاني أوّل من أعطى للصورة دلالة اصطلاحية، وهي تعني لديه: الفروق المميزة بين معنى ومعنى.

فالصورة لبنة أساسية من لِبنات تكوين الشعر الجميل وتشكيله، تزامن وجودها مع وجود الشعر في عصوره المتعاقبة، ولا يكاد المتلقي يتفاعل مع قصيدة شعرية تخلو من شكل من أشكال الصورة، ولكن استخدام الصورة يختلف من شاعر لآخر.

والصورة الفنية: تتعلق بالتجربة الشعورية لدى الشاعر من حيث الشكل في الصياغة والأسلوب، واستخدام الألفاظ، ومن حيث المضمون في صدق التجربة والمشاعر ومدى تأثيرها في المتلقي والمستمع لها.

---

(١) دلائل الإعجاز، للجرجاني، شرحه وعلق عليه: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ص٥١٨.

(٢) الصورة الفنية في شعر الشمّاخ، محمد علي ذياب، وزارة الثقافة، عمان، د ط، ٢٠٠٣م، ص١٥.

فالشاعر لا يستطيع أن يكون بمنأى عن الصورة الفنّيَّة عن إلقائه لأيّ قصيدة؛ لأنها جوهر العمل الشعري وأساسه، فهي جزء مهم في الإبداع الشعري.

والشعراء في مخاطبتهم الطير ومناجاتهم له؛ أبرزت قصائدهم صوراً متنوعة، ومشاهد مختلفة، وقوالب متعددة؛ تبعاً لاختلاف الطير.

١- فالحمامة:

اقترنت بمشاهد الحزن والبكاء وخاصة تلك المتعلقة بالفقد والحرمان؛ فقدان المحبوبة بارتحالها، أو زواجها أو غير ذلك.

ومن الشعراء من يرى في غنائها ما يُسرّي عنه الهموم والأحزان، وربّما كانت الدليل على لُقيا الحبيبة، أو بشارة بلقائها بعد ارتحالها.

وكلا النظرتين مرتبطتان بالحالة الشعورية، والجوّ النفسي الذي يشيع في أبيات الشاعر؛ لأن الشاعر هو الذي يُوجه شدو الحمامة حسب ما في نفسه، وما يجيش في قلبه؛ وإلاّ فمن يعلم أشدو الحمامة فرحٌ أم ترح؟

ولعلّ أوّل من أثار هذا التساؤل أبو العلاء المعرّي عندما قال:

أَبْكَتْ تِلكُمُ الحَمَامَةُ أَمْ غَنَّـ ـتْ عَلَى فَرْعِ غُصْنِها المَيَّادِ

إذ أنه لم يجزم ولم يفسر صوت الحمامة، وإنما كان متأملاً منصتاً متسائلاً محتاراً في تصنيف صوتها الجميل، وظل يُراوح بين من يراه غناءً يُسرّي عنه، ومنهم من يراه مبعث شجونه.

يقول ابن الدمينة[1]:

ألا قاتَـــلَ اللهُ الحَمَامَـــةَ غُـــدْوةً ... على الغُصْنِ ماذا هَيَّجَتْ حِين غَنَّتِ؟

تَغَنَّتْ بصَوْتٍ أَعْجَمِـــيٍّ وهَيَّجَـــتْ ... جَوايَ الذي كانتْ ضلوعي أجَنَّـــتِ

فالشاعر يرى في هديل الحمامة وشدوها: غناءً يترنم به على الأغصان.

ويقول أسامة بن منقذ[2]:

وهاجَ لي الشَّوق القــديم حَمَامَــةٌ ... عَلَـــى غُصـــنٍ في غيْضَـــة تتـــرنَّمُ

دَعَتْ شَجْوَها محزُونةً لم تَفْــض لهـــا ... دُموعٌ فَفاضَتْ أدْمُعـــي مَزْجُهـــا دَمُ

فقلتُ لها: إنْ كُنتِ (خَنساءَ) لَوعَـــةً ... ووَجْداً فـــإنّي في البُكـــاءِ (مُـــتمِّمُ)

وفيما سبق من الأبيات نجد أن الشاعر: أسامة بن منقذ يخبر أنه حينما سمع صوت الحمامة رأى في صوتها بكاءً لمن فقده فبعث ذلك عليه أشجانه وحرّك أشواقه، وأخذ يُبادلها البكاء ويخاطبها بقوله: بأنها ليست في حالٍ أشد من حاله..، وأنها إن كانت ففي الفقد كالخنساء عندما فقدت أخاها صخراً؛ فهو كمتمم بن نويرة حِينما فقد أخاه؛ فأخذ يرثيه فالحالة التي يعيشها الشاعر هي التي تترجم وتُبين عن سجع الحمامة أنوحٌ أم غناء لأنه يُريد أن يسقط هذه الحالة على هذا الصوت الذي أنس بسماعه وهو «هديل الحمامة».

---

(١) ديوان ابن الدمينة، ص ١٣٢.

(٢) ديوان أسامة بن منقذ، ص ١٤٩.

ظهر للبحث الحالي:

أن أكثر الشعراء في مخاطبتهم الحمامة ومناجاتهم لها، وبكائهم عند سماع شجوها وهديلها؛ كان سببه:

ما يقوم به هديل الحمامة من تهييج نفسية الشاعر وإيقاظ ما يعانيه من حزن وفراق، ومؤازرة لجو الحزن المسيطر على قلبه، فهو – وإن بكى – لسماع هديلها فهو يستأنس به؛ لأنه يرى فيه المؤازر الصادق لما يشعر به.

وقد يرى في الحمامة وفاءً عندما تفقد من تُحب فتظل تبكيه، فهي تحفظ له الوِداد، وفي هذا المعنى يقول أبو العلاء المعرّي(١):

أبنــاتِ الهَــديل أَسْــعِدْنَ أَوعِــدْ ... نَ قَلِيــلَ العَــزاء بالإِسْــعَادِ

إِيــهِ لله دَرُّكُــنَّ فــأَنْتَنَّ ... اللّــواتِي تُحسِــنَّ حِفْــظَ الــوِدَادِ

ومما رصده البحث الحالي؛ ارتباط مخاطبة الحمامة بفراق الأوطان والحنين إليها، ومن أمثلة ذلك؛ ما قاله الشاعر عوف بن محلم الخُزاعي سمع مرة نوح حمامة على غصنها فقال(٢):

وأرَّقَنــي بــالرَّيِّ نَــوحُ حَمَامَــةٍ ... فنُحتُ وذُو الشَّجوِ الغَريــبُ يَنُــوحُ

على أَنَّها ناحَتْ ولَــمْ تُــذْرِ دمعــة ... ونُحتُ وأسْرابُ الــدُّمُوعِ سُــفُوحُ

ونَاحَتْ وفَرْخَاهــا بحيــثُ تَراهُمــا ... ومِــنْ دُونِ أفْراخِــي مَهامِــهُ فِــيحُ

---

(١) ديوان أبي العلاء المعري، ص ٢٠٧.

(٢) كتاب شعراء عباسيون، ص ١٣٩.

أَلا يَا حَمَامَ الأَيْلِ إِلْفُـــكِ حَاضِـــرُ   وَغُصْـــنُكِ مَيَّـــادٌ فَنِـــيمَ تَنُـــوحُ؟

صوّر الشاعر كيف أن نوح الحمامة قد هيَّج مشاعر الشوق في نفسه وهو بعيد عن أهله ووطنه، فأضناه الحنين.

غير أنه يُنكر على الحمامة بكاءها ونوحها؛ لأنها تنوح وتبكي بغير دموع، أمّا هو فعيناه تجريان بالدمع، فخاطبها وسألها: كيف لها أن تنوح وفِراخها معها وعيشها رغيد، تُغنّي وهي مأمنٍ في مكانها على غصنها، ومن تألف وتحب حاضر عندها.

تراهم، وهو بينه وبين أولاده بلاد واسعة وأرض نائية، ثم أخذ الشاعر معاتبة الحمامة بقوله: من تحبين وتألفين غير غائبين عنك، وغصنك مياد يهتز بك ففيم تنوحين؟

فالشاعر يرى أنّه أصدق عاطفة في بكائه من الحمامة التي تنوح وهي في عيش رغيد، لا تفقد حبيباً ولا أليفاً، بل هي غير صادقة في نوحها.

وشدة حنين الشاعر لوطنه وأهله تتضح لنا من خلال الأبيات السابقة ترمي شدة شوقه وحنينه قوله: «وأرقني» أبعد عني النوم والراحة سماع نوح الحمامة فهيج ما في قلبه من الشوق والحنين، ترى ذلك في نوحه وحُزْنه على من فقد من أهله وأولاده وأحبابه وهو ما وجده حاضراً لدى هذه الحمامة التي تنوح نوحاً غير صادق من فراق أهله وأولاده، وعدم إلفه للمكان الذي هو فيه بل يألف الموطن الذي فيه أحبابه.

ومثل الصورة السابقة قول أبي فراس الحمداني[1]:

أقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبِـي حَمَامَـةٌ أَيَا جَارتا هـل تَشْـعُرِين بِحَـالِي؟
مَعَاذ الهوى ما ذُقت طَارِقةَ النَّـوى وَلاَ خَطَرَتْ مِنـكِ الهُمُـوم بِبَـالِ
أَيَضْحَكُ مَأْسُور، وَتَبكِـي طَلِيقَـةٌ ويسكتُ مَحزونٌ، ويَنـدبُ سَـالِ؟

إذ أن الشاعر هنا يُنكر نوح الحمامة، ويرفض حزنها، وأخذ في معاتبتها؛ لأنها تنوح وهي متمتعة بالحرية، ويعجب من حالته التي جعلته يضحك وهو الأسير المُكبّل بالأغلال، المغترب عن وطنه وأمه وأهله الواقع في أسر الروم حين كان يُقاتلهم دفاعاً عن وطنه وبلده.

فهو يرى أن نوح هذه الحمامة غير صادقة فيه؛ لأنها تنوح وتبكي وهي: تنعم بنعمة الحرية والتي يتفقدها الشاعر، وهو مع هذه المُعاتبة للحمامة ومقارنته الفارقة بين حاله وحالها، وهو في قيده بأغلال الأسر والنأي عن الوطن بعدما كان حراً طليقاً إلا أنّه كان صابراً مُتجلداً أمام نوائب الدهر وصروفه. بل حمل نفسه على الصمت وعدم البكاء بل والضحك في بعض الحالات.

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ غرض الرثاء من أهم الأغراض الشعرية، وهو موطن العاطفة الحزينة، والشاعر عندما يسمع نوح الحمامة وهو في حزنه لفقد أحبابه؛ يبدأ قصيدته بمخاطبتها؛ لطغيان عواطفه وأحزانه الذي ثار في نفسه لسماعه نوحها.

(١) ديوان أبي فراس الحمداني، ص ٢١١-٢١٢.

وأصدق الرثاء ما كان في فقد الأقرباء؛ لأن بفقد الأقرباء يُجرح القلب، وتنكسر النفس ويُصبح الإنسان تعجّ روحه حُزناً ويأساً.

أسامة بن منقذ، شاعر فقد أهله وقرابته كلّهم في زلزال أصاب موطنه؛ فمات جميع أقاربه، فعظمت عليه المصيبة، واشتدّ الخطب، وأخذ يرثيهم بقصائد متعددة، وكان ممّا رثاهم به هذه الأبيات، خاطب بها حمامة ناحت على أحد الأغصان(1):

حَمَائمَ الأيْكِ هيَّجتُنَّ أشجانَا	**فَلْيَبْكِ أصدقُنا بَثاً وأشجَانَا**
كَمْ ذَا الحنِينُ عَلَى مَرِّ السِّنينَ أما	**أفَادكُنَّ قَدِيمُ العَهْدِ نِسيَانَا**
هَلْ ذَا العَويل عَلَى غَيرِ الهَدِيل وهَلْ	**فقيدكُنَّ أعزّ الخَلقِ فقدَانَا**
ما وَجْدُ صَادِحَةٍ في كُلِّ شَارِقَةٍ	**تُرجِّعُ النَّوْحَ في الأَفنَانِ ألحَانَا**
كَما وجدتُ على قومي تَخوَّنَهم	**رَيْبُ المَنونِ ودَهرٌ طَالَ ما خَانَا**

فمع علمه بحُزن الحمام وهو على الأغصان ينوح؛ إلا أنّه خاطبه بمناجاة تُبيّن لنا أن شعور الحزن لدى الشاعر أشدّ من نوح الحمام على هديلها، ويُظهر صورة المفاضلة في شدة الحُزن بقوله: فَليْبَكِ أصْدقُنا بثاً وأشجَانَا.

ثم إنه يُسائل هذا الحمام:

ألم ينسكم تقادم الزمان هذا الحزن؟، هل من تبكون عليه أعز الخلق.

يستفهم من شدّة تفجّعه بفراق أقاربه، وهو مع ذا يُقرر في هذا الاستفهام أن من فقدهم الشاعر، وأخذ في رثائهم لا يُنسيه مرّ الأيام والسنين حزنهم وهم من أعزّ

(1) ديوان أسامة بن منقذ، ص ٣٥٦.

من يفقد من الناس والخلق.

ثم يختم بما تحقق في إحساسه بعظيم الحُزن والأسى على من فُجع بموقم بقوله: أن حزنكنّ أيتها الحمائم ونوحكنّ على الأغصان، ليس كَحُزني ووجدي على من فقدتُ، حين حلّ بهم هذا المصاب الجلل والذي أودى بهم جميعاً والذي جعل قلبي منكسراً، وعيني منها الدمع منهمراً، ولساني بالقصائد راثيا.

وقد تأتي صورة الطير في مخاطبة الشعراء له: «صورة رسول» يُحمّله الشاعر رسالة شوق للحبيب، وفي هذه الرسالة يبثّ الشاعر أحاسيسه ووجده، وما يُعانيه من شوق.

فقد رأى قيس بن الملّوح طائراً يُحلّق في السماء؛ فقال مخاطباً له(١):

أَلا أيُّهـــا الطَّـــيرُ المُحَلِّـــق غَادِيَـــا تَحَمَّلْ سَـــلاَمي لا تَـــذَرْني مُنَادِيَـــا

تَحَمَّلْ – هَدَاكَ اللهُ – مِنّي رِسَـــالَةً إِلَى بَلَدٍ إِنْ كُنْـــتَ بِـــالأَرْضِ هَادِيَـــا

إِلَى قَفْزَةٍ مِنْ نَحْـــوِ لَيْلَـــى مُضِـــلَّةٍ بِهَا القَلْـــبُ مِنِّـــي مُوثَـــقٌ وفُؤَادِيَـــا

أَلا لَيْتَ يَوْمًا حَلَّ بِي مِـــنْ فِـــرَاقِكُمْ تَـــزَوَّدْتُ ذَاكَ اليَـــوْمَ آخِـــرَ زَادِيَـــا

يُخاطب الشاعر الطير ويُناديه أيها الطائر المُحلّق في الصباح الباكر، احمل معك رسالة منّي إلى بلد ليلى، أبلغها سلامي، وشوقي لرؤيتها قُل لها:

ليتني يوم فراقكم عنّي ورحيلكم تزوّدت منك آخر زادٍ لي فإن الموت وفراق

(١) ديوان مجنون ليلى، شرح عدنان زكي درويش، دار صادر، بيروت، ص٢٣٨.

هذه الحياة أخف عليّ من بعدك عني.

ويقول الشريف الرضي[1]:

يَا طَائِرَ البَانِ غِرِّيـداً عَلَـى فَـنَنِ　　مَا هَاجَ نَوحُكَ لِي يَـا طَـائِرَ البَـانِ

هَلْ أَنتَ مُبْلَغُ مَنْ هَامَ الفُـؤَادُ بِـه　　إِنَّ الطَيلقَ يُـؤدِّي حَاجَـةَ العَـانِي

في البيتين يخاطب الشاعر الطير ويُخبره بإعجابه بصوته وتغريده وترنيمه على الغصن، ويطلب منه الاستمرار في التغريد، فلقد هاج ما بي من شوق ولوعة لرؤية من قد أحببتها ثم أخذ في سؤال الطير، هل تحمل منّي رسالة إلى من هام الفؤاد بحبه والشوق لرؤيته، ثم رسم لنا صورة في غاية الجمال بقوله: إنّ الطليق يؤدّي حاجة العاني أنت أيها الطير طليق في الهواء، لا يجزك شيء عن رؤية من تُحب؛ فأدِّي لي حاجتي ورسالتي؛ فإني أنا العاني الأسير بحب من أرضه ليست بأرضي.

ويقول عنترة[2]:

ناشدتك الله يـا طـير الحمـام إذا　　رأيت يوماً حمـول القـوم فالغـاني

يُحمّل الشاعر طير الحمام رسالة ويقول له:

إذا رأيت هودج المحبوبة وهي سائرة مع قومها، نشدتك الله أن تُبلِّغها أشواقي وأحزاني ولوعتي من فراقها، حباً وعشقاً وشوقاً.

(١) ديوان الشريف الرضي، ص٣٣٧.

(٢) ديوان عنترة بن شداد، ص١٧٩.

٢- الغراب وصورة الفِراق:

إنّ طائر الغراب لا يقل شأناً عن طائر الحمام في مخاطبة الشعراء له، فهو من أهم الطيور وأكثرها - بعد الحمامة - ذكراً في مناجاة الشعراء؛ لأنه يعدّ - في نظرهم - طائراً قبيحاً يُوحي بالشؤم، ويُنبئ بفرقة الأحبة.

ويُعد الفِراق من أهم الصور والموضوعات التي تناولها الشعراء الذين عانوا من لوعة الفراق لمن أحبوه.

وقد ارتبط الفِراق ارتباطاً وثيقاً بمخاطبة الغراب؛ إذْ كان يُعتقد أنّ الغراب سبب في تفريق الأحبّة ورؤيته تُنبئ بالموت والبوار والخراب؛ لذلك أطلقوا عليه اسم غراب البين.

وقد تطيّر بعض الشعراء من صوت الغراب، كما تطيروا من سواده، ويُثير صوت الغراب فيهم الخوف والهم، وحالات الشؤم، وينذرهم بالقادم المشؤوم، و كان له دوراً بارزاً في التعبير عن الحالة النفسية لديهم؛ لم يحمله من دلالات تشاؤمية.

ومن هؤلاء الشعراء عنترة[1]:

يقول عنترة:

ظَعَنَ الذين فِراقَهُم أَتَوقَّعُ ... وَجَرى بِبَينِهِم الغُرابُ الأبقَعُ

حَرِقُ الجَنَاحِ كَأنَّ لِحيَي رَأسِهِ ... جَلَمانُ بِالأَخبارِ هَشٌّ مولَع

(١) ديوان عنترة بن شدّاد، ص ٥٧.

فَزَجَرتُـــهُ ألاَّ يُفَـــرِّخَ عُشُّـــهُ		أبَـــداً ويُصـــبِحَ وحِـــداً يَتَفَجَّـــعُ
إِنَّ الـــذينَ نَعَيـــتَ لي بِفِـــراقِهِم		هُم أسْهَروا لَيْلِي التَّمـــامَ فَـــأوجَعوا

فعنترة يُصوره بهيئة بشعة ومنظر كريه، فهو منسول الريش، لا همّ له إلا الإنذار بالأحزان وتفريق الأحبَّة: فيقول:

أو تحل الذين كنت أتوقع فراقهم؛ فالغراب الأبقع أنذره برحيل أحبابه؛ لأن هذا الطائر مولع بتفريق الأحبّة، وكأن فكَّيه مقصٌ يقطع الأواصر فزجر عنترة هذا الغراب، ودعا عليه بقطيعة النسل فلا يفرّخ عشّه، وبأن يبقى وحيداً يندبُ الأهل والأقارب.

ثم خاطبه عنترة بقوله: أنت السبب في بعدي عن من أحب، فالغراب بنعيقه كان سبب الفِراق الذي أسهر عنترة.

ويقول قيس بن ذُريح(١):

وَطَارَ غُرابُ البَيْنِ وانْشَقَّتِ العَصَـــا		ببَـــيْنٍ كَمَـــا شَـــقَّ الأَدِيمَ الصَّـــوالِعُ
أَلا يَا غُرَابَ البَيْنِ قَدْ طِرْتَ بالـــذي		أُحَاذِرُ مِنْ لُبْنَى فَمـــا أَنـــتَ صَـــانِعُ؟

وهنا نرى الشاعر أن قومه خالفوه، وشدّوا رحالهم راحلين ومعهم لُبنى، ونسب ذلك للغراب لما رأى الغراب قد لاقى له فتشاءم برؤيته، ثم أخذ يخاطبه بأنه السبب في فِراق لُبنى، فما أنت صانع لي بعد ذلك من شر أخشاه، أو مصيبة أتوقاها، فَبَعد لبنى كل شيء يهون، ومصيبتي في فراقها تُهوِّن كل مصيبة وقلبي ببعدها لا يرى شراً سواه.

(١) ديوان قيس بن ذريح، شرح عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص٨٧.

ويقول قيس بن الملوّح[1]:

أقول وقد صاح ابن رأيــه غــدوة　　　بِبُعْدِ النوى لا أخطأتــك الشــبائك

افي كل يوم رائعــي أنــت روعــة　　　ببينونــة الأحبــاب إلفــك فــارك

يخاطب الشاعر: ابن دأية – وهو الغراب – بعدما صاح صباحاً بفراق الأحباب، لا أخطأتك أيها الغراب شباك الصيّاد، أفي كل يوم تأتيني؛ لتخيفني بابتعاد الأحباب؛ فليفارقك إلفك ويُبغضك يدعو عليه أن يبغضه من يألفه الغراب وتفارقه؛ جزاء ما كان سبباً في فِراق الشاعر لأحبابه.

وبما أنّ الغراب يُنبئ ويأتي بالفراق برحيل الأحبّة من مكان لآخر، فإنه قد يكون نذير برحيلهم الأبدي «موهم».

فها هو عنترة يذكر غراب البين في رثائه: مالك بن زهير العبسي، الذي قتله بنو بدر، ويسأله إن كان قد علم بوفاة مالك. حيث يقول[2]:

أَلا يا غُــرابَ الــبَينِ فِي الطَيَــرانِ　　　أَعِرني جَناحــاً قَــد عَــدِمتُ بَنــاني

تُرى هَل عَلِمتَ اليَومَ مَقتَلَ مالِــكٍ　　　وَمَصــــرَعَهُ في ذِلَّــــةٍ وَهَــــوانِ

فَإِن كانَ حَقّــاً فَــالنُجومُ لِفَقــدِهِ　　　تَغيــبُ وَيَهــوي بَعــدَهُ القَمَــرانِ

يظهر في الأبيات السابقة جزع وحزن عنترة لِفراق مالك العبسي بموته فجعل الشاعر شؤم هذا الفِراق في صورة غراب البين.

(١) ديوان قيس بن الملوّح، شرح عدنان زكي درويش، دار صادر، بيروت، ص١٦٥.

(٢) ديوان عنترة، ص٢٥٠.

وهل هناك من هو أشأم من غراب البين يُنبئ بفراق الأحبة وبعدهم، لذلك خاطبه، وجعل مخاطبته مدخلاً لقصيدته.

وتخاطب خولة بنت الأزور الكندية الغراب في شعرها، ولكن بصورة مختلفة فهي على يقين أنه سبب في الفِراق؛ لذلك تستفسر منه عن موعد رجوع الغائبين، فتقول(١):

ألا مخـــبرٌ بعـــدَ الفـــراقِ يخبّرنـــا ... فَمن ذا الّذي يا قوم أَشـــغلكم عنّـــا

فَلَو كنت أَدري أنّــه آخــر اللّقــا ... لكُنّــا وَقَفنــا للـــوادعِ وَودّعنـــا

أَلا يا غراب البينِ هَل أَنت مُخــبري ... فَهـــل بِقـــدومِ الغـــائبينَ تبشّـــرنا

فهي حزينة لِفراق أخيها ضرار بن الأزور، ولكنّها على يقين أنّه سيتحرر من الأسر في يوم من الأيام.

فرأت في الغراب كما أنَّه سبب في الفراق؛ لعله يكون مُبشِّراً باللقاء؛ فلذلك سألت.

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، لبشير يموت، الناشر: دار القلم العربي، ص١٧٢.

من خلال عرض القصائد التي خاطب فيها الشعراء الحمام؛ نجد أنها جاءت في صور الحزن، ومواقف الأسى.

فحين يشكو الشاعر بُعد المحبوب، واللوعة لرؤياه، ووصف الحنين والشوق له؛ رأيناه يخاطب الحمام، ويستعين بنوحه في تصوير حُزنه ووَجْدِه، وحين يُفجع الشاعر بأحبابه؛ نجده يذكر الحمام في رثائه، ويُصوّر حزنه وبكائه في نوح الحمام.

وقد اقتصرت على ذكر الصور الفنية المتعلقة بطائر الحمام ونوحه، لاندراج بعض الطيور وصورها وسبب مخاطبتها في صور طائر الحمام مثل: القمري، والقطا.

ومن خلال عرض القصائد التي خاطب فيها الشعراء الغراب؛ نجد ارتباطاً كبيراً في مخاطبتهم لها: بصورة الفِراق، والبعد عن الأحبّة: بُعد إلى أمد، أو بُعد إلى أبد و لم يقتصر هذا الارتباط على صورة الفِراق والرحيل فحسب، بل تعداه إلى الرثاء.

وقد اقتصرت على ذكر الصور الفنية المتعلقة بطائر الغراب ونعيبه، لاندراج بعض الطيور وصورها وسبب مخاطبة الشعراء لها في صور الغراب؛ مثل: البوم، والصُّرَد.

ب- الظواهر الأسلوبية:

تأتي القصيدة إثر انفعال صادق في نفس الشاعر، وتكون في صورة ألفاظ وأساليب؛ فالأسلوب صورة مرئية للشعور الداخلي والانفعال الصادق لدى الشاعر.

الأسلوب هو: طريقة التعبير عن عناصر النصّ الشعري؛ لتكوين الوحدة العضوية[1].

فالأسلوب هو طريقة الشاعر في نقل مشاعره وأحاسيسه بصورة لُغوية في شعره، والشعور الصادق المتدفق يستطيع أن يصل إلى حواس المتلقي للاستجابة لهذا الأسلوب.

ومن خلال قصائد الشعراء التي خاطبوا فيها الطير؛ تجد أنهم قد اهتموا بظاهرتين من الظواهر الأسلوبية، وتكاد تتكرر في كل هذه القصائد؛ ألا وهما: أسلوب النداء — وأسلوب الاستفهام.

١- أسلوب النداء:

وهو من الأساليب الطلبيّة، ووسيلة مهمة من الوسائل البلاغية، والنحويَّة التي لها وقعها الخاص في النصوص الشعرية من حيث الصياغة وسبك العبارة، ودلالة الألفاظ ومعانيها.

ويُسهم هذا الأسلوب في بناء القصيدة، والتي هي بمثابة مفتاح جديد لموضوع جديد.

ويُعد النداء ركيزة أساسية في معظم مواقف مخاطبة الطير، وأحد الظواهر الأسلوبية المهمّة في نسج هذا الموقف في بناء القصيدة.

(١) أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م، ص٣١.

والنداء قد وُظف في صور، وألوان متعددة في مخاطبة الشعراء للطير، ورغم أن الاستهلال، والافتتاح بالنداء يُعدّ أمراً طبيعياً، في موقف يُبنى على الخِطاب، والتحاور في بعض المواقف إلا أنّ جملة النداء مع السياق الذي ترد فيه كثيراً ما تُشعرنا بالأجواء التي تُحيط بالكلام القادم، وتُلقي في المسامع أطيافاً من الطرب، أو الشجن، الغناء أو البكاء، وتُقرّب إلى الأذهان ذلك الصوت الذي همس به ذاك الموقف.

ولا تنحصر الأجواء الخاصة بالنداء عند المعنى الشائع له، أو القريب للمفهوم اللّغوي (طلب إقبال المدعو) في صورة مجرّدة.

لأنّ مخاطبة الطير تتضمّن مناجاةً ومحادثةً؛ وبالتالي لا يمكن أن تخلو هذه المناجاة والمحادثة من استخدام النداء للطرف الآخر.

فالنداء في صورته الحقيقية أو المجازية هو جزء لا ينفصل من الخطاب أو المحادثة؛ إيقاظاً للحس، أو لأهميّة ما سيلقى، أو استشعاراً بمعنى: التواصل، أو إيناساً بالمُنادى، وغير ذلك.

وقبل كلّ هذا يأتي النداء للطير نابعا من الطبع الإنساني الذي نمارسه في حياتنا في أشكال وصور ومواقف عدّة عندما نُخاطب إنساناً آخر أو كائناً من المخلوقات.

فالنداء للمخاطب هو تجسيد لمعنى: التواصل بين المتحادثين، والشعر الذي هو من الأدب هو صورة حيّة للحياة وانعكاس لبيئة الإنسان، ومرآه لما يُمارسه في الواقع على وجه الحقيقة؛ فلا غرو في استخدام الشعراء النداء في مخاطبتهم للطير حين مناجاتهم له.

ويمكن القول: إنّ النداء في مخاطبة الشعراء الطير، خرج من معناه الحقيقي إلى معنى المناجاة، ومن ثم ففيه «طلب إجابة لأمر» و « طلب إقبال المدعو» ولكن على سبيل المجاز.

والنداء في مخاطبة ومناجاة الشعراء للطير؛ يُوحي بدلالات متنوعة؛ تستمد من سياق كل موقف على حِدَة، وتأتي « يا» النداء أداة شائعة في هذا الموقف الذي قد تُستهل به القصيدة، يقول الشريف الرضي(١):

يَا طَائِرَ البَانِ غِرِّيـــداً أَعَلـــى فَـــنَنِ ... مَا هَاجَ نَوحُـــكَ يَـــا طَـــائِرَ البَـــانِ

ويقول عنترة(٢):

يَا طَائِرَ البَانِ قَدْ هَيَّجْـــتَ أَشـــجَانِي ... وزِدْتَـــني طَرَبـــاً يَـــا طَـــائِرَ البَـــانِ

ويقول كذلك(٣)

يَا حَمَامَ الغُصونِ لَوْ كُنْـــتَ مِثْلِـــي ... عاشِقاً لَمْ يَرِقُـــكَ غُصْـــنٌ رَطِيـــبُ

ويقول عبد الله بن الزبعري(٤):

يَا غُـــرابَ البَـــيْنِ أَسمعَـــتَ فَقُـــلْ ... إِنَّمـــا تَنطِـــقُ شَـــيْئاً قَـــدْ فُعِـــلْ

---

(١) ديوان الشريف الرضي، ص ٣٣٧.

(٢) ديوان عنترة بن شداد، ص ١٢٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٥٦.

(٤) ديوان عبد الله بن الزبعرى، ص ٤١.

ويقول أبو العلاء المعرّي[1]:

يَـــا غُرابـــاً هَمُّـــه في غَـــارةٍ   يَتمنَّـــى أَقِطـــاً فَـــوقَ مَشَـــبرِ

وقد تسبق أداة النداء في مخاطبة ومناجاة الشعراء الطير ألفاظاً لها دلالتها، يعرض فيها الشاعر سبب مناجاته للطير، أو يذكر حرف الاستفتاح « ألا» قبل أن يناجي الطير؛ للتنبيه عن عِظم ما يُخاطب الطير من أجله.

يقول مجنون ليلى[2]:

لَعَمْرِي لَقَدْ أَبْكَيْتني يَا حَمَامَةَ الْعَقِيــ   ـــتِ وَأَبْكَيْـــتِ العُيـــونَ البَواكِيَـــا

ويقول كذلك[3]:

أَلاَ يَا حَمَامُ الأَيْكِ أَجْرَيَتَ أَدْمُعِـــي   وَقَدْ صَاحَ فَوقَ الـــوَجْنَتَيْنِ غَزيرُهـــا

ويقول الشريف الرضي[4]:

أَقـــولُ وَقَـــدْ رَنَـــتْ مَراحـــاً   لَبالُـــكِ يَـــا حَمَامَـــةُ غـــير بَـــالِي

ويقول أبو العلاء المعرّي[5]:

فَقُلتُ تَغنِّي كَيْـــفَ شِـــئْتِي فَإِنّمـــا   غِنَاؤُكِ عِنْدِي يَـــا حَمَامَـــةُ إِعْـــوَالِ

---

(١) ديوان أبي العلاء المعري، ص ٣٦٢.

(٢) ديوان قيس بن الملوح، ص ٢٢٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٢١.

(٤) ديوان الشريف الرضي، ص ٣٢٥.

(٥) ديوان أبي العلاء المعري، ص ٥٧٠.

ويقول هدبة بن الخشرم[1]:

يُخبِّرنَــا الغُــرابُ بَــأنْ سَــتنأى ... حَبَائِبُنَــا فَقَــدتُكَ يَــا غُــرابُ

ويقول أميّة بن أبي الصلت[2]:

فَلمَّا أَضاءَ الصُّبحُ طَــرَّبَ صَــرخَةً ... أَلاَ يَا غُرابَ البَيْنِ هَلْ سَمِعتَ نِــدائِيَا

وقد تحذف أداة النداء في مخاطبة ومناجاة الشعراء للطير، ويكون موضعها تقديراً، إلا أنْ صداها ووقعها يظل ماثلاً في موقف المخاطبة والمناجاة بوضوح.

وحذف أداة النداء له دلالة في نفس الشاعر وهو:

أنّ المُنادى هو في أقرب منازل القرب من الشاعر؛ حتى لم يعدْ يحتاج إلى ذِكر أداة نداء له؛ لشدة قُربه منه.

يقول مجنون ليلى[3]:

فَقُلْتُ: حَمَامَ الأَيْكِ مَالَــكَ بَاكِيــاً ... أَفَارَقْتَ إِلْفــاً أَمْ جَفَــاكَ حَبِيــبُ؟

ويقول عنترة[4]:

غُرابَ البَــيْنِ مَالَــكَ كُــلَّ يَــومٍ ... تُعَانِــدُنِي وَقَــدْ أَشْــغَلْتَ بَــالِي

(١) ديوان هدبة بن الخشرم، ص ٦٣.

(٢) ديوان أمية بن أبي الصمت، ص ١٩٦.

(٣) ديوان قيس بن الملوح، ص ٣٣.

(٤) ديوان عنترة بن شداد، ص ١٤٨.

ويقول أسامة بن منقذ[1]:

حَمَائِمَ الأَيْــكِ هَيَّجْــتُنَّ أَشْــجَاناَ فَلْيَبْــكِ أَصْــدَقُنَا بَثًّــا وأَشْــجَانَا

٢- أسلوب الاستفهام:

أسلوب الاستفهام من أهم الأساليب التي نجدها في قصائد مخاطبة ومناجاة الطير، ولها دلالتها من لفت السامع لها، واستشراف السامع لمعرفة جواب هذا الاستفهام، ولمعرفة دوافع هذا الاستفهام، وغيرها.

والاستفهام من أساليب الإنشاء الطلبي، وهو نوعان: حقيقي، ومجازي، ويتولّد عن الاستفهام المجازي جملة من المعاني، «ولكن هذه المعاني لا تنفي بقاء معنى الاستفهام مع كل أمر من الأمور»[2]، كالإنكار، والتعجب، والتفخيم، والعتاب، والتمني، والنهي.

والاستفهام ليس فقط طلب فهم المستفهم، وإنما هناك ما هو طلب إفهام المسؤول أيضاً[3].

والاستفهام في مخاطبة ومناجاة الطير يُحرّك في المتلقي نوعاً من تخيل المشاعر والأحاسيس، ويدعو إلى تتبع المعنى الذي يطرحه الشاعر.

وللاستفهام عدة ألفاظ؛ من أكثرها استعمالاً: هل، وما.

---

(١) ديوان أسامة بن منقذ، ص ٣٥٦.

(٢) أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي، حسني بن عبد الجليل، دار المعالم الثقافية، السعودية، ص١٠.

(٣) أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي، حسني بن عبد الجليل، دار المعالم الثقافية، السعودية، ص٩.

يقول عوض بن محلم الخزاعي[1]:

وأَرَّقَنِــي بــالرَّيِّ نَــوحُ حَمَامَــةٍ   فَنُحتُ وذُو الشَّجوِ الغَريــبِ يَنــوحُ

عَلَى أَنَّها نَاحَتْ ولَــمْ تُــذْرِ دَمعَــةً   ونُحتُ وأسْرابُ الــدُّمُوعِ سُــفُوحُ

وَنَاحَتْ وَفْرخاها بِحيــثُ تَراهُمــا   ومِــنْ دُونِ أَفْراخِــي مَهامِــه فِــيحُ

أَلاَ يَا حَمَامَ الأَيْكِ إِلْفُــكَ حَاضِــرُ   وَغُصْــنُكَ مَيَّــادٌ فَغــيم تَنُــوحُ؟

نرى في هذه الأبيات التي خاطب فيها الشاعر الحمام: أنّ جُملة الاستفهام تتصل بما قبلها، من الناحية الأدبيّة؛ بمعنى أن الأداء التعبيري من الشاعر الذي سبق جملة الاستفهام يحقق نوعاً من توضيح المعنى، ودلالة هذا الاستفهام، ويدعونا إلى تأمل ما أفصح عنه الشاعر من حاله وغربته، وشوقه إلى أهله ودياره بأسلوب المقابلة بين ما يعيشه وما يعيشه هذا الحمام الذي ينوح على غصن الشجرة، وقد توفَّر لديه كل ما يَنشُده الشاعر ويفقده.

فربط الشاعر جملة الاستفهام بما قبلها من أبيات جاءت في ربط ونسجٍ جميل.

ويقول قيس بن ذريح[2]:

أَلاَ يَا غُرابَ البَيْنِ هَلْ أَنتَ مُخــبِرِي   بِخَبَرٍ كَمَا خَبَّــرتَ بالنــأيِ والشَّــرِّ

أسلوب الاستفهام في البيت يهزّ وجدان المتلقي، وينقل صدق المخاطبة التي نبعت من الشاعر، فهو يسأل الغراب بُحرقة ما يجد من بُعد لبنى عنه ورحيلها.

---

(١) كتاب شعراء عباسيون، ص ١٣٩.

(٢) ديوان قيس بن ذريح (قيس لُبنى) شرح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص٢٢.

كما أخبرتني أيها الغراب برحيلها؛ هل ستخبرني برجوع لُبنى ولقياي بها ولكن هيهات أن يخبره الغراب بلمّ الشمل واجتماعه معها؛ فالغراب ما هو إلا منذر بالفرقة والبعد، ولكن حمله شدة شوقه للُبنى أن يسأله هذا السؤال.

ويقول أيضاً[(1)]:

أَلاَ يَا غُرابَ البَيْنِ قَدْ طِرتَ بِالّــذي   أُحاذِرُ مِنْ لُبنَى فَمــا أنــتَ صَــانعُ؟

وهنا يسأل الغراب ويقول: لقد طرت لي بالشؤم الذي أحزنني وهو فراق لبنى فما أنت صانع بي بعد ذلك؟ إني بعد فِراق لبنى لم أعد أخشى فقد شيئاً، ففقدها قد أحال حياتي بؤساً؛ فنجد الشاعر وظف الاستفهام لإثارة من يُناجيه وكأنما بينهما تواصلا.

(١) المصدر نفسه، ص٥٦-٥٧.

الخاتمة والنتائج

الحمد لله، وبعد:

فقد توصلت بتوفيق الله في هذه الرسالة (مخاطبة الطير في الشعر العربي) إلى الخروج بعدد من النتائج، والتي أرجوا أن تكون مناراً لكل باحث عن علاقة الطير في الشعر بشكل عام، ومخاطبة الشعراء للطير بشكل خاص.

وقد تحصَّلت لديّ ثمرات ونتائج أُجملها فيما يأتي:

- احتلال الطير مكاناً واسعاً في حياة العرب، فجعلوه متصلاً بأسباب حياتهم.
- ظهرت عند العرب وخاصة في العصر الجاهلي معتقدات وأساطير تعلَّقت بالطير في واقعهم الاجتماعي؛ لبعدهم عن الوعي الديني في تلك الفترة وما زال هذا المعتقد في العصور التي تلي الإسلام، ولكنها غير سائدة كما كانت عليه في العصر الجاهلي.
- كان لاهتمام العرب بالطير أثرٌ بارز في حياة العرب فسمّوا أولادهم بأسماء الطير، وجعلوا له صفات كثيرة، وأسماء لصوت كل نوع من أنواع الطيور، ومساكنه، وضربوا أمثلة تتعلق بصفات بعض الطيور كالغراب.
- خاطب بعض الشعراء أنواعاً من الطير بأشكال مختلفة كالنداء والحوار وذلك يختلف في مسوغاته من طير لآخر.
- تنوع الألفاظ في مخاطبة الشعراء للطير من طائر لآخر. فالحمام تجد معه ألفاظ الشوق، والحنين، والشجون، ورقة القلب. والغراب تجد معه: الشؤم والفراق، والبعد.

- ظهور أثر الحالة النفسية والشعورية لدى الشعراء في مخاطبتهم للطير بأنواعه؛ إذ أن الشعر ما هو إلا تعبير عن المشاعر والأحاسيس.
- جعل بعض الشعراء الطير كائناً عنده فهم لما يقوله الشاعر ويخاطبه به فجعل ذلك لدى الشاعر سبباً في مخاطبته له بفيض مشاعره.
- على الرغم من نظرة الشؤم السائدة عند بعض الشعراء المتعلقة بالغراب إلا أنه قد وُجد من العرب من ينكر هذه النظرة التشاؤمية.
- مجيء الإسلام صحّح بعض المفاهيم الخاطئة المتعلقة بالطير.
- مخاطبة الشعراء للطير جاءت في صور فنية متنوعة، وبأساليب دلالية لاسيما أسلوبي النداء والاستفهام.
- استمرار مخاطبة الشعراء للطير إلى القرن الخامس الهجري؛ فيه دلالة على قوة الترابط والتعلق بهذا المخلوق (الطائر) وجعله أنيساً للشعراء يفيضون عليه من أشواقهم.

هذه خلاصة مقتضبة لما توصلت إليه في هذه الرسالة، فإن تحقق به الغرض، وحصل به المقصود، فذلك فضل الله، فله الحمد كله وإلا فحسبي أنني بذلت جهدي، واستفرغت طاقتي.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- أدب الكاتب، ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، ت٢٧٦هـ) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، ط٤، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.
- الأصمعيات، للأصمعي، تحقيق: أحمد شاكر – عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر.
- إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، تأليف: محمد دياب الإقليدي، الناشر: دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
- الأغاني، الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين، ت٣٥٦هـ) تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠م.
- البديع في نقد الشعر، لأسامة بن منقدة، تحقيق: د. أحمد أحمد بدوي، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة.
- البيان والتبيين (الجاحظ – ت ٢٥٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٨٥م.
- البيان والتبيين، (الجاحظ – ت٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٨٥م.

- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي (محمد مرتضى، ت١٢٠٥هـ) القاهرة، ١٣٠٦هـ.
- تأريخ دمشق، لابن عسكر، الناشر: دار الفكر، مصر.
- ثمرات الأوراق، لأبي بكر بن حجة الحموي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المطبعة الوهبية، عام ١٣٠٠هـ.
- الحيوان (الجاحظ، ت٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، ١٩٦٩م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي (عبد القادر بن عمر، ت١٠٩٣هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.
- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، (الزمخشري ت٥٣٨هـ)، تحقيق د. سليم النعيمي، بغداد، ١٩٧٦م.
- زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسن البوسي، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، المغرب.
- الزهرة، لأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء.
- سبل الهدى والرشاد في سيرة طير العباد، محمد بن يوسف الشامي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد وآخرون، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

- شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام. بشير بن يموت، المكتبة الأهلية، بيروت، لبنان، ط١، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م.
- شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبد الستار أحمد فرَّاج، الناشر: مكتبة دار العروبة، القاهرة، مصر.
- شرح ديوان الحماسة، للخطيب التبريزي، تحقيق: فريد الشيخ، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، بيروت، لبنان.
- الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري، ت ٢٧٦هـ، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٢٣هـ.
- شعراء عباسيون، د: رشدي علي حسن، دار النشر: دار يافا، عمّان، الأردن، ط١، ٢٠١٠م.
- الطير في الشعر الجاهلي، عبد القادر الرباعي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.
- الطير ودلالته في البنية الفنية والموضوعية للشعر العربي قبل الإسلام، للدكتور: كامل عبد ربه حمدان الجبوري، دار الينابيع، سورية، دمشق، ط١، ٢٠١٠م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٦٣م.
- عيون الأخبار (ابن قتيبة، ت٢٧٦هـ) دار الكتب للتأليف والنشر، ١٩٦٣م.

- الفهرست، ابن النديم (أبو الفرج محمد بن إسحاق بن يعقوب، ت٣٨٥هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- في تأريخ الأدب العربي، د. علي الجندي، طبعة دار المعارف، ١٩٨٥م.
- الكامل في اللغة والأدب، المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد النحوي، ت٢٨٦هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وزميله، مصر.
- كتاب نثر الدُّر، المنصور بن الحسين الآبي، الناشر: وزارة الثقافة السورية، عام ١٩٩٧م.
- لسان العرب، ابن منظور، (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت٧١١هـ) دار صادر، دار بيروت، ١٩٦٨م.
- مجمع الأمثال، للميداني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار العلم، بيروت.
- المستقصي في أمثال العرب، الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمد بن عمر، ت٥٣٨هـ) مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدا باد الدكن، الهند، ط١، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.
- المفضليات، للضبي ت ١٦٨هـ، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، الناشر: دار المعارف، القاهرة، مصر.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت، ط١.

- ديوان ابن أبي حصينة، تحقيق: محمد أسعد طلس، الناشر: دار صادر للطباعة والنشر، ١٣٧٥هـ/ ١٩٦٥م، بيروت، لبنان.
- ديوان ابن الدُمينة الخثعمي، شرحه وضبطه، محمد الهاشمي البغدادي، الناشر: م كتبة محي الدين رضا، الطبعة الأولى، ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م.
- ديوان ابن الرومي، تحقيق: حسين نصار، الناشر: دار الكتب القومية، ٢٠٠٣م، القاهرة، مصر.
- ديوان ابن المعتز، دراسة وتحقيق: محمد بديع شريف، الناشر: دار المعارف، مصر.
- ديوان ابن شهيد الأندلسي، جمعه وحققه: يعقوب زكي، الناشر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.
- ديوان ابن مقبل، تحقيق: عزة حسن، الناشر: دار الشرق العربي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، بيروت، لبنان.
- ديوان أبي ذؤيب الهذلي، تحقيق: أحمد خليل الشال، الناشر: مركز الدراسات للبحوث الإسلامية، بورسيعد، مصر.
- ديوان أبي فراس الحمداني، اعتنى به وشرحه: عبد الرحمن المصطاوي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ديوان أبي نواس، تحقيق: إيليا حاوي، الناشر: الشركة العالمية للكتاب، ١٩٨٧م، لبنان.

- ديوان أسامة بن منقذ، تحقيق: أحمد أحمد بدوي و حامد عبد المجيد، الناشر: عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، بيروت، لبنان.
- ديوان الأخطل، تحقيق: حنا نصر الحتي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- ديوان الأعشى، تحقيق: د. محمد حسين، الناشر: مكتبة الآداب، مصر.
- ديوان الإمام الشافعي، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، الناشر: ابن سينا، القاهرة، مصر.
- ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، الناشر: دار المعارف، الطبعة الثالثة، مصر.
- ديوان الحارث بن حلزة، تحقيق: أمل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، بيروت، لبنان.
- ديوان الحطيئة، تحقيق نعمان أمين طه، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.
- ديوان الخنساء ، شرح وتحقيق: عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، بيروت، لبنان.
- ديوان الراعي النميري، تحقيق: واضح الصمد، الناشر: دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، بيروت، لبنان.

- ديوان الشريف الرضي، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- ديوان الشريف المرتضى، تحقيق: محمد التونجي، الناشر: دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م. بيروت، لبنان.
- ديوان الشماخ الذبياني، تحقيق وشرح: صلاح الدين الهادي، الناشر: دار المعارف، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، القاهرة، مصر.
- ديوان الشنفرى، جمع وتحقيق وشرح: د. إميل بديع يعقوب. الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، بيروت، لبنان.
- ديوان الصنوبري، تحقيق: د. إحسان عباس، الناشر: دار صادر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، بيروت، لبنان.
- ديوان الطرماح بن حكيم، تحقيق: عزة حسن، الناشر: دار الشرق العربي، قطر.
- ديوان المتنبي، أحمد بن الحسين، الناشر: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، بيروت، لبنان.
- ديوان المرقشين، تحقيق: كارين صادر، ط، ١٩٩١م. دار النشر: دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- ديوان النابغة الجعدي، جمعه وحققه وشرحه: د. واضح الصمد، دار النشر: دار صادر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، بيروت، لبنان.

- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: عباس عبد الساتر، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، بيروت، لبنان.
- ديوان النمر بن تولب العكلي، تحقيق: محمد نبيل طريفي، الناشر: دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعارف، ١٩٨٤م، القاهرة، مصر.
- ديوان أمية بن أبي الصلت، جمعه وحققه وشرحه: سميع جميل الجبيلي، دار صادر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، بيروت، لبنان.
- ديوان بشار بن برد، شرح: محمد الطاهر بن عاشور، الناشر: لجنة التأليف والنشر، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م، القاهرة، مصر.
- ديوان تأبط شرا، تحقيق: علي ذو الفقار شاكر، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، بيروت، لبنان.
- ديوان جرير، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه، الناشر: دار المعارف، مصر.
- ديوان ذي الرمة، حققه وقدّم له وعلّق عليه: د. عبد القدوس أبو صالح، الناشر: مؤسسة الإيمان للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، بيروت، لبنان.
- ديوان رؤبة بن العجاج، تحقيق: وليد بن الورد البروسي، الناشر: تصوير دار قتيبة، دمشق، سوريا.

- ديوان زهير بن أبي سُلمى، تحقيق: علي بن حسن قاعور، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، بيروت، لبنان.
- ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: دريه الخطيب ولطفي السقال، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.
- ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق: محمد جبار المعيبد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، بغداد، العراق.
- ديوان علي بن أبي طالب، جمع وترتيب ونشر: عبد السلام الكرم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ديوان عنترة بن شدّاد، تحقيق: محمد سعيد مولوي، الناشر: المكتب الإسلامي، ١٩٧٠م، سوريا، دمشق.
- ديوان قيس بن ذريح (قيس لُبنى)، اعتنى به وشرحه: عبد الرحمن المصطاوي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق وشرح: إحسان عباس، الناشر: وزارة الإرشاد في الكويت، ١٩٦٢م.
- ديوان مجنون ليلى قيس بن الملوّح، شرح: عدنان زكي درويش، الناشر: دار صادر للطباعة والنشر، ٢٠٠٦م، بيروت، لبنان.
- ديوان يحيى بن الحكم الغزال، تحقيق: محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، بيروت، لبنان.

- السُليكُ بن السلكة "أخباره وشعره"، دراسة وتحقيق: حميد آدم ثويني وكامل سعيد عوّاد، مطبعة العاني، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، بغداد، العراق.
- شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي، تحقيق: راجي الأسمر، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، بيروت، لبنان.
- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي، تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: مطبعة السعادة، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م، مصر.
- شعر أبي حية النميري، جمع وتحقيق: د. يحيى الجبوري، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٧٥م، دمشق، سوريا.
- شعر عبد الله بن الزبعري، تحقيق: يحيى الجبوري، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، بيروت، لبنان.
- شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي، جمع وتحقيق: مطاع طرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، دمشق، سوريا.
- شعر هدبة بن الخشرم، جمع: د. يحيى الجبوري، الناشر: دار القلم، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، الكويت.
- شعر يزيد بن الطثرية، جمع: حاتم بن صالح الضام، الناشر: مكتبة الشعر العربي، بغداد، العراق.
- عبد الله بن عمر العرجي، "حياته وشعره"، تحقيق: سجيع جميل الجبيلي، الناشر: دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

فهرس الموضوعات